

الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء

الأساليب النبوية في معالجة الأخط

الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء

المقدمة

تنبيهات وفروقات ينبغي مراعاتها عند معالجة الأخطاء

الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس

(1) المسارعة إلى تصحيح الخطأ وعدم إهماله

(2) معالجة الخطأ ببيان الحكم

(3) ردّ المخطئ إلى الشرع وتذكيرهم بالمبدأ الذي خالفوه

(4) تصحيح التصور الذي حصل الخطأ نتيجة لاختلاله

(5) معالجة الخطأ بالموعظة وتكرار التخويف

(6) إظهار الرحمة بالمخطئ

(7) عدم التسرع في التخطنة

(8) الهدوء في التعامل مع المخطئ

(9) بيان خطورة الخطأ

(10) بيان مضرة الخطأ

(11) تعليم المخطئ عملياً

(12) تقديم البديل الصحيح

(13) الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الخطأ

(14) عدم مواجهة بعض المخطئ بالخطأ والاكتفاء بالبيان العام

(15) إثارة العامة على المخطئ

(16) تجنب إغارة الشيطان على المخطئ

(17) طلب الكف عن الفعل الخاطئ

(18) إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه

(19) إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي

(20) إعادة الحق إلى صاحبه وحفظ مكانة المخطئ

(21) توجيه الكلام إلى طرفي النزاع في الخطأ المشترك

(22) مطالبة المخطئ بالتحلل ممن أخطأ عليه

(23) تذكير المخطئ بفضل من أخطأ عليه ليندم ويعتذر

(24) التدخل لتسكين الثائرة ونزع فتيل الفتنة بين المخطئ

(25) إظهار الغضب من الخطأ

(26) التولي عن المخطئ وترك جداله لعله يراجع الصواب

(27) عتاب المخطئ

(28) لوم المخطئ

(29) الإعراض عن المخطئ

(30) هجر المخطئ

(31) الدعاء على المخطئ المعاند

(32) الإعراض عن بعض الخطأ اكتفاء بما جرت الإشارة إليه منه تكريماً مع المخطئ

(33) إعانة المسلم على تصحيح خطئه

(34) ملاقة المخطئ ومجالسته لأجل مناقشته

(35) مصارحة المخطئ بحاله وخطئه

(36) إقناع المخطئ

(37) إفهام المخطئ بأن عذره الزائف غير مقبول

(38) مراعاة ما هو مركز في الطبيعة والجملة البشرية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إله الأولين والآخرين وقيام السموات والأرضين والصلاة والسلام على نبيه الأمين معلم الخلق المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

فإن تعليم الناس من القربات العظيمة التي يتعدى نفعها ويعم خيرها، وهي حظ للدعاة والمربين من ميراث الأنبياء والمرسلين " وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى الثَّمَلَةُ فِي جُذْرِهَا وَحَتَّى الْحَوَتِ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعْتَمِدِ النَّاسِ الْخَيْرِ " رواه الترمذي: سنن الترمذي ط. أحمد شاكر رقم 2685 وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح، والتعليم طرائق وأنواع وله وسائل وسبل ومنها تصحيح الأخطاء، فالتصحيح من التعليم وهما صنوان لا يفترقان.

ومعالجة الأخطاء وتصحيحها من النصيحة في الدين الواجبة على جميع المسلمين. وصلة ذلك بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوية وواضحة. مع ملاحظة أن دائرة الخطأ أوسع من دائرة المنكر فالخطأ قد يكون منكراً وقد لا يكون.

وتصحيح الأخطاء كذلك من الوحي الرباني والمنهج القرآني فقد كان القرآن ينزل بالأوامر والنواهي والإقرار والإنكار وتصحيح الأخطاء حتى مما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت معانيات وتببيهاات كما في قوله تعالى: (عيسى وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فنتفعه الذكرى، أما من استغنى، فإنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فإنت عنه تلهي)، وقوله: (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)، وقوله: (ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) وقوله: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإذهبهم ظالمون)

وكان القرآن ينتزل ببيان خطأ أفعال بعض الصحابة في عدد من المواقف. فلما أخطأ حاطب بن أبي بلتعنة رضي الله عنه خطأ عظيماً في مراسلة كفار قريش مبينا لهم وجهة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في الغزو، نزل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل).

وفي شأن خطأ الرماة في غزوة أحد لما تركوا مواقعهم التي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلزومها نزل قوله تعالى: (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة).

ولما اعتزل النبي صلى الله عليه زوجاته تأديبا وأشاع بعض الناس أنه طلق نساءه نزل قوله تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)

ولما ترك بعض المسلمين الهجرة من مكة إلى المدينة لغير عذر شرعي أنزل الله: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ... الآية)

ولما انساق بعض الصحابة وراء إشاعات المنافقين في اتهام عائشة بما هي منه بريئة أنزل الله آيات في هذا الإفك وفيها: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم، إذ تلقونه بالنسك وتقولون يا فواهم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) ثم قال: (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين)

ولما تنازع بعض الصحابة بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وارتفعت أصواتهم نزل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)

ولما جاءت قافلة وقت خطبة الجمعة فترك بعض الناس الخطبة وانفضوا إلى التجارة نزل قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)

إلى غير ذلك من الأمثلة الدالة على أهمية تصحيح الأخطاء وعدم السكوت عنها.

وسار النبي صلى الله عليه وسلم على نور من ربه سالكا سبيل إنكار المنكر وتصحيح الخطأ غير متوان في ذلك، ومن هذا وغيره استنبط العلماء رحمهم الله تعالى قاعدة: " لا يجوز في حق النبي صلى الله عليه وسلم تأخير البيان عن وقت الحاجة "

وإدراك المنهج النبوي في التعامل مع أخطاء البشر الذين لا فاهم النبي صلى الله عليه وسلم من الأهمية بمكان لأنه صلى الله عليه وسلم مؤيد من ربه، وأفعاله وأقواله رافقها الوحي إقراراً وتصحيحاً فأساليبه عليه الصلاة والسلام أحكم وأنجع واستعمالها ادعى لاستجابة الناس، واتباع المربي لهذه الأساليب والطرائق يجعل أمره سديداً وسلوكه في التربية مستقيماً. ثم إن اتباع المنهج النبوي وأساليبه فيه الاتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أسوة حسنة لنا ويترتب على ذلك حصول الأجر العظيم من الله تعالى إذا خلصت النية.

ومعرفة الأساليب النبوية تبين فشل أساليب المناهج الأرضية - التي تزخر بها الأفاق - وتقطع الطريق على اتباعها، فإن كثيراً منها واضح الاحتراف وقائم على نظريات فاسدة كالحرية المطلقة أو مستمد من موروثات باطلية كالتقليد الأعمى للأباء والأجداد.

ولابد من الإشارة إلى أن التطبيق العملي لهذا المنهج النبوي في الواقع يعتمد على الاجتهاد بدرجة كبيرة وذلك في انتقاء الأسلوب الأمثل في الظرف والحدث الحاصل، ومن كان فقيه النفس استطاع ملاحظة الحالات المتشابهة والأحوال المتقاربة فينتقي من هذه الأساليب النبوية ما يلائم ويوائم.

وهذا الكتاب محاولة لاستقراء الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس على اختلاف مراتبهم ومشاربهم ممن عايشهم صلى الله عليه وسلم وواجههم، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب فيه التوفيق وإصابة الصواب والنفع لي وإخواني المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو الهادي إلى سواء السبيل.

فائدة: روى الإمام أحمد في مسنده: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ كُنْتُ مَعَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي حَلْقَةٍ فَسَمِعَ رَجُلًا فِي حَلْقَةٍ أُخْرَى وَهُوَ يَقُولُ لَا وَابِي فَرَمَاهُ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَصَنِ وَقَالَ إِنَّهَا كَانَتْ يَمِينُ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْهَا وَقَالَ إِنَّهَا شِرْكٌ. (الفتح الرباني 14/164).

وعن أبي شريح هاتين بن يزيد قال: وقد على النبي صلى الله عليه وسلم قوم فسمعهم يسمون رجلا عبد الحجر فقال له: ما اسمك؟ قال: عبد الحجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، أنت عبد الله رواه البخاري في الأدب المفرد رقم 813 وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد صحيح رقم 623

- اعتبار موقع الشخص الذي يقوم بتصحيح الخطأ

فيعرض الناس يُتَقَبَّلُ منهم مالا يُتَقَبَّلُ من غيرهم لأن لهم مكانة ليست لغيرهم أو لأن لهم سلطة على المخطئ ليست لغيرهم ومن أمثلة هذا الأب مع ابنه والمدرّس مع تلميذه والمحتسب مع من ينكر عليه، فليس الكبير كالقرون والصغير، ولا القريب كالغريب، وليس صاحب السلطان كمن ليس له سلطة، والإدراك لهذه الفروق يؤدي بالمصلح إلى وضع الأمور في نصابها وتقدير الأمور حق قدرها فلا يؤدي إنكاره أو تصحيحه إلى منكر أكبر أو خطأ أعظم، ومكانة المنكر وهيبته في نفس المخطئ مهمة في تقدير درجة الإنكار وضبط معيار الشدة واللين. ومن هذا نستفيد أمرين

الأول: إن على من أتاه الله مكانة أو سلطانا أن يسخر ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الخلق وأن يدرك أن مسؤوليته عظيمة لأن الناس يتقبلون منه أكثر مما يتقبلون من غيره - غالبا - ويتمكن مما لا يتمكن منه الآخرون.

ثانيا: إن على الأمر الناهي أن لا يُسَيء التقدير فيضع نفسه في موضع أعلى مما هو عليه ويتصرف بصفات شخصية لا يملكها لأن ذلك يؤدي إلى النفور والصد.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفيد مما أعطاه الله من المكانة والمهابة بين الخلق في إنكاره وتعليمه وربما أتى بشيء لو فعله غيره ما وقع الموقع المناسب وفيما يلي مثال على ذلك:

عن عَيْشِ بْنِ طَهْفَةَ الْغَفَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ضَفَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمَسَاكِينِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلِ يَتَعَاهَدُ ضَيْفَهُ فَرَأَيْتُ مِنْبَطِحًا عَلَى بَطْنِي فَرَكَضْتُهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَا تَضْطَجِعْ هَذِهِ الضَّجْعَةُ فَاتْبَاهَا ضَجْعَةٌ يَبْغِضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وفي رواية: فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ فَأَبْقَطَهُ فَقَالَ هَذِهِ ضَجْعَةٌ أَهْلِ النَّارِ رَوَاهُ أَحْمَدُ: الفتح الرباني 244/245. ورواه الترمذي رقم 2798 ط. شاكر ورواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه رقم 5040 ط. الدعاس والحديث في صحيح الجامع 2270 - 2271

وإذا كان إنكاره صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة مناسبة لحاله ومكانته فإنه ليس بمناسب لأحد الناس، ولا يصلح لأي شخص يريد أن ينكر على آخر نومه على بطنه أن يركضه برجله وهو نائم فيوقظه ثم يتوقع أن يقبل منه ويشكره. وقريب من هذا ضرب المخطئ أو رميه بشيء كالحصى ونحوه وقد فعل ذلك بعض السلف وكل ذلك يعود إلى مكانة المنكر وفيما يلي بعض القصص:

روى الدارمي رحمه الله عن سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مَثَنِيَةِ الْفَرَّانِ فَرَأَسَهُ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو فَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَابِينَ النَّخْلِ فَقَالَ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ فَأَخَذَ عَمْرُو بْنُ يَسَارٍ مِنْ تَلْكَ الْعَرَابِينَ فَضْرَبَهُ وَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَمْرُو بْنُ يَسَارٍ فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي. سنن الدارمي ت: عبدالله هاشم يمامي 51/1 رقم 146.

وروى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن أبي ليلى قال كان حذيفة بالمداين فاستسقى فاتاه بهقان يقدح فضة فرماه به فقال لى لم أرمه إلا أنى نهيتة فلم يئته وإن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة وقال هن لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة الفتح رقم 5632

وفي رواية أحمد للقصة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال خرجت مع حذيفة إلى بعض هذا السواد فاستسقى فاتاه بهقان ينادى من فضة قال فرماه به في وجهه قال فلنا استكثروا استكثروا وإننا سألناه لم يحدثنا قال فسكتنا قال فلما كان بعد ذلك قال أتدرون لم رميت به في وجهه قال فلنا لا قال لى كنت نهيتة قال فذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشربوا في آنية الذهب قال معاذ لا تشربوا في الذهب ولا في الفضة ولا تلبسوا الحرير ولا الديباج فإنهما لهم في الدنيا ولكم في الآخرة. المسند 396/5

وروى البخاري أن سيرين سأل أسما المكتوبة وكان كثير المال فأبى فأنطلق إلى عمر رضي الله عنه فقال كاتبه فأبى فضربه بالدرّة ويثلو عمر (فكاتبوه إن علمتم فيهم خيرا) الفتح 184/5.

وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري أنه كان يصلي فإذا باين لمروان يمر بين يديه فقرأه فلم يرجع فضربه فرج الغلام يبكي حتى أتى مروان فأخبره فقال مروان لأبي سعيد لم تضربت ابن أخيك قال ما ضرته إنما ضررت الشيطان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان أحدكم في صلاة فأراد إنسان يمر بين يديه فيدروه ما استطاع فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان. المجتبى من سنن النسائي 61/8. صحيح سنن النسائي برقم 4518.

وروى أحمد رحمه الله عن أبي النضر أن أبا سعيد الخدري كان يشتكي رجله فدخل عليه أخوه وقد جعل إحدى رجله على الأخرى وهو مضطجع فضربه بيده على رجله الوجعة فأوجعته فقال أوجعني أولم تعلم أن رجلي وجعة قال بلى قال فما حملك على ذلك قال أولم تسمع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن هذه المسند 42/3

وروى مالك عن أبي الزبير المكي أن رجلا خطب إلى رجل أخته فذكر أنها قد كانت أخذت (أي زنت) فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فضربه أو كاد يضره ثم قال ما لك ولخبر موطا مالك رقم 1553 رواية أبي مصعب الزهري. ت: بشار معروف ومحمود خليل. مؤسسة الرسالة

وروى مسلم في صحيحه عن أبي إسحق قال كنت مع الأسود بن يزيد جالسا في المسجد الأعظم ومعنا الشعبي فحدث الشعبي حديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل لها سكنى ولا نفقة ثم أخذ الأسود كفا من حصي فضة به فقال ويلك تحدث بمثل هذا قال عمر لا تترك كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة لا تدري لعلها حفظت أو نسيت لها السكنى والنفقة قال الله عز وجل (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) صحيح مسلم رقم 1480

وروى أبو داود بإسناد فيه مقبولان: دخل رجلان من أبواب كعدة وأبو مسعود الأنصاري جالس في حلقة فقالا ألا رجل يُنقذُ بيئنا فقال رجل من الحلقة أنا فأخذ أبو مسعود كفا من حصي فرماه به وقال مه إنه كان بكره التسرع إلى الحكم رواه أبو داود كتاب الأضحية باب في طلب القضاء والتسرع إليه

ونلاحظ أيضا أن إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على بعض خواص أصحابه كان أحيانا أشد منه على أعرابي مثلا أو غريب وكل هذا من الحكمة وتقدير الحال في الإنكار.

- التفريق بين المخطئ الجاهل والمخطئ عن علم

ومن القصص الواضحة في هذا ما حدث لمعاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه لما جاء إلى المدينة من البادية ولم يكن يدري عن تحريم الكلام في الصلاة قال بيئا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت وأكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي فجعوا بضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوني لكني سكت (أي أوشكت أن ارد عليهم لكني تماكنت نفسي ولزمت السكوت) فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبابي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرني (أي زجرني وعيس في وجهي) ولا ضربني ولا شتمني قال إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التشبيح والتكبير وقراءة القرآن صحيح مسلم ط. عبد الباقي رقم 537

فالجاهل يحتاج إلى تعليم وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان والمغافل يحتاج إلى تذكير والمصرح يحتاج إلى وعظ، فلا يسوغ أن يسوى بين العالم بالحكم والجاهل به في المعاملة والإتكار، بل إن الشدة على الجاهل كثيرا ما تحمله على النفور ورفض الإتيان بخلاف ما لو علمه أولا بالحكمة واللين لأن الجاهل عند نفسه لا يرى أنه مخطئ فلسان حاله يقول لمن يُنكر عليه: أفلا علمتني قبل أن تهاجمني.

وقد يجانب المخطئ الصواب وهو لا يشعر بل قد يظن نفسه مصيبا فبراعى لأجل ذلك: جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل طعاما ثم أقيمت الصلاة فقام وقد كان توضأ قبل ذلك فأتته بماء ليتوضأ منه فالتهمته وقال وزأرك فسأعني والله ذلك ثم صلى فشكوت ذلك إلى عمر فقال يا نبي الله إن المغيرة قد شق عليه انتهازك إيأه وخشي أن يكون في نفسه شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس عليه في نفسي شيء إلا خير ولكن أتاني بماء لتوضأ وإنما أكلت طعاما ولو فعلته فعل ذلك الناس بعدي المسند 253/4

ويلاحظ هنا أن تخطئة النبي صلى الله عليه وسلم لمثل هؤلاء الصحابة الأجلاء لم تكن لتؤثر في نفوسهم تأثيرا سلبيا فتحملهم على كره أو نفور بل إنها كانت تؤثر في نفوسهم تأثيرا إيجابيا فيبقى الواحد منهم بعد تخطئته من النبي صلى الله عليه وسلم وجلا مشقفا متهما نفسه يعيش في حرج عظيم لا يسري عنه إلا أن يتأكد من رضی رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه.

ويلاحظ في هذه القصة كذلك أن تخطئة النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة لم تكن غضبا من شخص المغيرة ولكن شفقة على الناس وتبييننا لهم حتى لا يظنوا ما ليس بواجب واجبا فيقعوا في الحرج.

- التفريق بين الخطأ الناتج عن اجتهاد صاحبه وبين خطأ العمد والغفلة والتقصير

ولا شك أن الأول ليس بملوم بل إنه يوجب اجرا واحدا إذا أخلص واجتهد لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فخطأ فله أجر واحد رواه الترمذي 1326 ط. شاكر وقال أبو عيسى الترمذي حديث حسن غريب من هذا الوجه

وهذا بخلاف المخطئ عن عمد وتقصير فلا يستويان فالأول يعلم ويناصح بخلاف الثاني فإنه يوعظ ويُنكر عليه.

ويجب أن يكون الاجتهاد الذي يُعذر به صاحبه اجتهادا سائفا من شخص مؤهل بخلاف من يفتي بغير علم أو لا يرعى الأحوال ولذلك اشتد إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على المخطئين في قصة صاحب الشجة فقد روى أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه قال خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجته في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإلما شفاء العي السؤال... سنن أبي داود كتاب الطهارة باب المجروح يتيمم وحسنه الألباني في صحيح أبي داود 325 وأشار إلى ضعف الزيادة في آخره. وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن: الفضاة ثلاثة وأحد في الجنة والثان في النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقتل به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار سنن أبي داود رقم 3573 وصححه الألباني في الإرواء 2164 فلم يعتبر هذا الثالث معذورا.

ومن الأمور التي تضبط درجة إنكار الخطأ مراعاة البيئة التي حصل فيها الخطأ مثل انتشار السنة أو البدعة وكذلك مدى استشراف المنكر أو وجود من يفتي بجوازه من الجهلة أو المتساهلين ممن يراهم الناس شيئا.

- إرادة المخطئ للخير لا تمتنع من الإنكار عليه

عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجعنا أبو موسى الأشعري فقال أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد فلنا لا فجلس معنا حتى خرج فلما خرج فمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أيضا أمرا أكرهه ولم أر والحمد لله إلا خيرا قال فما هو فقال إن عشت فسترأه قال رأيت في المسجد قوما جالسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصي فيقول كبيروا مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا مائة فيهللون مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة قال فماذا قلت لهم قال ما قلت لهم شيئا انتظر رأيك وانتظار أمرك قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سبائهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلج فوقف عليهم فقال ما هذا الذي أراكم تصنعون قالوا يا أبا عبد الرحمن حصي نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال فعذوا سبائكم فانا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون وهذه ثيابه لم تلبس وآبئته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي الهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال وكم من مرید للخير لن يصيبه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم وإيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة رأينا عامة أولئك الحلج يطاعوننا يوم النهر وان مع الخوارج رواه الدارمي السنن رقم 210 ت: عبد الله هاشم يمانى وصححه الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة تحت حديث 2005 وانظر مجمع الزوائد للهيتمي 181/1

- العدل وعدم المحاباة في التنبيه على الأخطاء

قال الله تعالى: (وإذا قتلتم فاعدوا) وقال: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

ولم يمنع كون أسامة بن زيد حب النبي صلى الله عليه وسلم وابن حبه أن يشن عليه في الإنكار حينما حاول أن يشفع في حد من حدود الله فقد روت عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أسامة استغفر لي يا رسول الله فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخطب فأتى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأني الذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها الحديث في الصحيحين وهذا لفظ مسلم رقم 1688

وفي رواية للنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت استعارت امرأة على السنة أناس يعرفون وهي لا تعرف خليفاً فباعته وأخذت ثمنه فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسعى أهلها إلى أسامة بن زيد فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقلوبهم وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع لي في حد من حدود الله فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشيتي فأتى على الله عز وجل بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم قطع تلك المرأة سنن النسائي: المجتبى طر دار الفكر 73/8. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم 4548.

وموقفه عليه الصلاة والسلام من أسامة رضي الله عنه دال على عدله وأن الشرع عنده فوق محبة الأشخاص والإنسان قد يسامح من يريد في الخطأ على شخصه ولكن لا يملك أن يسامح أو يحابي من يخطئ على الشرع.

وبعض الناس إذا أخطأ قريبه أو صاحبه لم يكن إنكاره عليه مثل إنكاره على من لا يعرفه وربما ظهر تحيز وتمييز غير شرعي في المعاملة بسبب ذلك، بل ربما تغاضى عن خطأ صاحبه وشدّد في خطأ غيره

وعين الرضا عن كل عيب كليلية **** ولكن عين السخط تُبدي المساويا

وهذا يتعكس على تفسير الأفعال أيضاً فقد يصدر الفعل من شخص محبوب فيحمل على محمل ويصدر مثله من شخص آخر فيحمل على محمل آخر.

وكل ما سبق مقيد بما إذا استوت الأحوال وإلا فقد يكون هناك تفاوت في الاعتبارات كما سيأتي ذكره.

- الحذر من إصلاح خطأ يؤدي إلى خطأ أكبر

من المعلوم أن من قواعد الشريعة تحمل أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما فقد يسكت الداعي عن خطأ لنلا يؤدي الأمر إلى وقوع خطأ أعظم.

لقد سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم وصبر على أذاهم لنلا يقول الناس محمد يقتل أصحابه خصوصاً مع خفاء أمرهم، ولم يهدم النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة لبنيها على قواعد إبراهيم الخليل من أجل أن قريشاً كانوا حديثي عهد بجاهلية وخشي عليه الصلاة والسلام أن لا تحتمل ذلك عقولهم وترك البنيان على ما فيه من النقص والباب على ارتفاعه وإغلاقه عن العامة مع أن في ذلك نوعاً من الظلم.

وقبل ذلك نهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين مع أنه طاعة وقربة إذا كان ذلك يؤدي إلى سب الله عز وجل وهو أعظم منكر.

فقد يسكت الداعية عن منكر أو يؤجل الإنكار أو يغيّر الوسيلة إذا رأى في ذلك تلافياً لخطأ أو منكر أكبر ولا يُعتبر ذلك تقصيراً ولا تخاذلاً مادام صادق النية لا يخاف في الله لومة لائم وكان الذي منعه مصلحة الدين لا الخور والجبن.

ومما يلاحظ أن من الأسباب المؤدية إلى الوقوع في خطأ أكبر عند إنكار خطأ ما ؛ هو الحماس غير المنضبط بالحكمة

- إدراك الطبيعة التي نشأ عنها الخطأ

هناك بعض الأخطاء التي لا يمكن إزالتها بالكلية لأمر يتعلق بأصل الخلقة ولكن يمكن تقليصها والتخفيف منها لأن التقويم النهائي يؤدي إلى كارثة كما هو الشأن في المرأة ؛ قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتمت بها استمتمت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم 1468

وفي رواية: استنصوا بالنساء خيراً فإنهن خيلن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستنصوا بالنساء خيراً البخاري عن أبي هريرة الفتح رقم 5186

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله (بالنساء خيراً) كأن فيه رمزاً إلى التقويم برفق بحيث لا يُبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه.. فيؤخذ منه أن لا يتركها على الأعوج إذا تعدت ما طبع عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها، أو ترك الواجب. وإنما المراد أن يتركها على أعوجاجها في الأمور المباحة. وفي الحديث المداراة لاستمالة النفوس وتآلف القلوب. وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن، والصبر على عوجهن، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكانه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها. فتح 954/9

- التفريق بين الخطأ في حق الشرع والخطأ في حق الشخص

فإذا كان الدين أعلى عندنا من ذواتنا وجب علينا أن نتنصر له ونحامي عنه ونغضبه له أكثر مما نغضب لأنفسنا ونتنصر لها. وإن من ضعف الحماية الدينية أن ترى الشخص يغضب لنفسه إذا سبه أحد ولا يغضب لدين الله إذا اعتدى على جنابه أحد أو تراه يدافع باستحياء وضعف.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسامح من أخطأ عليه كثيراً وخصوصاً جفاة الأعراب تاليفاً لقلوبهم فقد جاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردٌ نجزيّ غليظ الحاشية فأذركه أعرابيً فجبذه بردانه جبذةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة غاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له يعطى الفتح 5809

وأما إذا كان الخطأ على الدين فإنه صلى الله عليه وسلم كان يغضب لله تعالى وستاتي أمثلة.

وهناك أمور أخرى تحتاج إلى مراعاة في باب التعامل مع الأخطاء مثل:

- التفريق بين الخطأ الكبير والخطأ الصغير وقد فرقت الشريعة بين الكبائر والصغائر

- التفريق بين المخطئ صاحب السوابق في عمل الخير والماضي الحسن - الذي يتلاشى خطؤه أو يكاد في بحر حسناته - وبين العاصي المسرف على نفسه وكذلك فإن صاحب السوابق الحسنة يُحتمل منه ما لا يُحتمل من غيره ومما وقع للصدوق في ذلك القصة التالية: عن أسماء بنت أبي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجًا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْعَرَجِ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلْنَا فَجَلَسَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسَتْ إِلَى جَنْبِ أَبِي وَكَانَتْ زَمَلَةَ (دابة السفر) أَبِي بَكْرٍ وَزَمَلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدَةً مَعَ غُلَامٍ لِبَابِي بَكْرٍ فَجَلَسَ أَبُو بَكْرٍ يَنْتَظِرُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ فَطَلَعَ وَلَيْسَ مَعَهُ بَعِيرَةٌ قَالَ ابْنُ أَبِي بَعِيرٍ قَالَ أَضَلَّنِيهِ الْبَارِحَةَ قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعِيرٌ وَاحِدٌ تُضَلُّهُ قَالَ فَطَلَعَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّبِعُهُ وَيَقُولُ انظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُخْرَمِ مَا يَصْنَعُ قَالَ ابْنُ أَبِي بَعِيرٍ فَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَقُولَ انظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُخْرَمِ مَا يَصْنَعُ وَيَتَّبِعُهُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ كِتَابُ الْمَنَاسِكِ بَابُ الْمُخْرَمِ يُوَدِّعُ غُلَامَهُ وَحَسَنَهُ الْإِلْبَانِي فِي صَحِيحِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ رَقْمَ 1602

- التفريق بين من وقع منه الخطأ مرارا وبين من وقع فيه لأول مرة

- التفريق بين من يتوالى منه حدوث الخطأ وبين من يقع فيه على فترات متباعدة

- التفريق بين المجاهر بالخطأ والمستتر به.

- مراعاة من دينه رقيق ويحتاج إلى تأليف قلب فلا يُعْلَظ عليه.

- اعتبار حال المخطئ من جهة المكاتب والسلطان

وهذه الاعتبارات التي مضى ذكرها لا تتعارض مع العدل المشار إليه آنفا

- الإنكار على المخطئ الصغير بما يتناسب مع سنه

روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي أخذ تمرّة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية كخ كخ أما تعرف أأنا لا تأكل الصدقة. فتح 3072

وروى الطبراني رحمه الله عن زينب بنت أبي سلمة أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل قالت: فأخذ حفنة من ماء فضرب بها وجهي وقال وراعك أي لكاع. المعجم الكبير 281/24 وقال الهيثمي إسناده حسن: المعجم 269/1

ويهدأ بتبين أن صغر الصغير لا يمنع من تصحيح خطئه بل ذلك من إحسان تربيته وهذا مما ينطبع في ذاكرته ويكون ذخيرة لمستقبله فالحديث الأول فيه تعليم الطفل الورع والثاني فيه تعليمه الأدب في الاستئذان وعدم الاطلاع على العورات.

ومن الشواهد الرائعة في هذا أيضا قصة الغلام الصغير عمر بن أبي سلمة فقد روى البخاري عنه قال: كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي بعد الفتح رقم 5376

تلحظ في هذه القصة أن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الغلام الذي أخطأ في تجوال يده في الطعام كانت قصيرة ومختصرة وواضحة يسهل حفظها وفهمها ولقد أثرت في نفس الغلام طيلة عمره فقال فما زالت تلك طعمتي بعد.

- الحذر عند الإنكار على النساء الأجنبية: حتى لا يفهم الإنكار فهما خاطئا، وحتى تؤمن الفتنة فلا يساهل في كلام الشباب مع الفتاة الشابة بحجة بيان الخطأ أو الإنكار والتعظيم، وكما جرّ هذا من مصائب، وينبغي أن يتاح في هذا المجال دور كبير لأهل الحسبة ومن يقوم معهم بالإنكار من كبار السن. وعلى الأمر النهائي أن يعمل بما غلب على ظنه في جدوى الإنكار فإن غلب على ظنه النفع تكلم وإلا أحجم عن الكلام مع سفهات ربما رمينه بهتان وهن مصرات على الباطل. ويبقى حال المجتمع ومكانة الأمر النهائي لها دور أساسي في نجاح عملية الإنكار أو التليغ وإقامة الحجة وفيما يلي قصة:

عن مولى أبي رهم واسمه عبيد أن أبا هريرة لقي امرأة متطيبة ثريد المسجد فقال يا أمة الجبار أين ثريدين قالت المسجد قال وكه تطيبت قالت نعم قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل رواه ابن ماجه رقم 4002 وهو في صحيح ابن ماجه 367/2

وفي صحيح ابن خزيمة: مرت بابي هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها: إلى أين ثريدين يا أمة الجبار؟ قالت إلى المسجد. قال تطيبت؟ قالت: نعم. قال فارجعي فاغتسلي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل صحيح ابن خزيمة رقم 1682 وقال الألباني في تعليقه حديث حسن وهو في المسند 246/2، وصح أحمد شاكر الحديث بطرقه في تعليقه على المسند رقم 7350

- عدم الانشغال بتصحيح آثار الخطأ وترك معالجة أصل الخطأ وسببه.

- عدم تضخيم الخطأ والمبالغة في تصويره

- ترك التكلف والاعتساف في إثبات الخطأ وتجنب الإصرار على انتزاع الاعتراف من المخطئ بخطئه.

- إعطاء الوقت الكافي لتصحيح الخطأ خصوصا لمن درج عليه واعتاده زمانا طويلا من عمره هذا مع المتابعة والاستمرار في التنبيه والتصحيح.

- تجنب إشعار المخطئ بأنه خصم ومراعاة أن كسب الأشخاص أهم من كسب المواقف

ويعد هذه المقدمة أن الأوان للشروع في عرض بعض ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلكه من الوسائل والأساليب في التعامل مع أخطاء الناس كما جاء ذلك في السنة الصحيحة التي نقلها أهل العلم.

الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس

(1) المسارعة إلى تصحيح الخطأ وعدم إهماله

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبادر إلى ذلك لا سيما وأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة وأنه مكلف بأن يبين للناس الحق ويدلهم على الخير ويحذرهم من الشر ومسارحته صلى الله عليه وسلم إلى تصحيح أخطاء الناس ووضحة في مناسبات كثيرة كقصة المسيء صلواته وقصة المخزومية وابن اللثبية وقصة أسامة والثلاثة الذين أرادوا التشديد والتبيل وغيرها وستأتي هذه القصص في ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

وعدم المبادرة إلى تصحيح الأخطاء قد يفوت المصلحة ويضيع الفائدة وربما تذهب الفرصة وتضيع المناسبة ويبرد الحدث ويضعف التأثير.

(2) معالجة الخطأ ببيان الحكم

عن جرهد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به وهو كاشف عن فخذه فقال النبي صلى الله عليه وسلم غط فخذك فإلها من العورة سنن الترمذي رقم 2796 وقال الترمذي هذا حديث حسن

(3) رد المخطئين إلى الشرع وتذكيرهم بالمبدأ الذي خالفوه

في عمرة الخطأ وملايسات الحادث يغيب المبدأ الشرعي عن الأذهان ويضيع في المعمعة فيكون في إعادة إعلان المبدأ والجهر بالقاعدة الشرعية رد لمن أخطأ وإيقاظ من الغفلة التي حصلت وإذا تأملنا الحادثة الخطيرة التي وقعت بين المهاجرين والأنصار بسبب نار الفتنة التي أوقدها المنافقون لوجدنا مثالا نبويا على ذلك فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد شاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب ففسح أنصاريًا فضيب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى نداء عوا وقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى أهل الجاهلية ثم قال ما شأنهم فأخبر بكسفة المهاجري الأنصاري قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعواها فإنها خبيثة. الفتح 3518 وفي رواية مسلم: ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا إن كان ظالمًا فليئنه فإنه له نصر وإن كان مظلومًا فليئنصره صحيح مسلم رقم 2584

(4) تصحيح التصور الذي حصل الخطأ نتيجة لاختلاله

ففي صحيح البخاري عن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء ثلاثة رهط إلي بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أي رأى كل منهم أنها قليلة) فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (أي أنهم ظنوا بأن من لم يعلم مغفرة ذنوبه يحتاج إلى المبالغة في العبادة أكثر من النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن تحصل له المغفرة) قال أخذهم أمّا أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأنفلكم له لكتي أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج

ورواه مسلم: عن أنس أن ثقفاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهن لا أتزوج النساء وقال بعضهن لا أكل اللحم وقال بعضهن لا أنام على فراش حميد الله وأنتي عليه فقال ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكتي أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني صحيح مسلم رقم 1041

ونلاحظ هنا ما يلي:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم فوعظهم في أنفسهم فيما بينه وبينهم ولما أراد أن يعلم الناس عموماً أيهم لم يفضحهم وإنما قال ما بال أقوام.. وهذا رفقاً بهم واسترا عليهم مع تحصيل المصلحة في الإخبار العام.

- في الحديث تتبّع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم والسير على منوالهم وأن التقبيل عن ذلك من كمال العقل والسعي في تربية النفس.

- وفيه أن الأمور المعقدة والمشروعة إذا تعدت معرفتها من جهة الرجال جاز استكشافها من جهة النساء

- وأنه لا بأس بحديث المرء عن عمله إذا أمن الرياء وكان في الإخبار منفعة للآخرين.

- وفيه أن الأخذ بالثبديد في العبادة يؤدي إلى إملال النفس القاطع لها عن أصل العبادة وخير الأمور أوسطها. أنظر الفتح 104/9

- أن الأخطاء عموماً تنشأ من خلل في التصورات فإذا صلح التصور قلت الأخطاء كثيراً وواضح من الحديث أن السبب الذي دفع أولئك الصحابة إلى تلك الصور من التبتل والرهبانة والتشديد هو ظنهم أن لا بد من الزيادة على عبادة النبي صلى الله عليه وسلم رجاء النجاة حيث أنه أخير من ربه بالمغفرة بخلافهم فصاح لهم النبي صلى الله عليه وسلم تصورهم المجانب للصواب وأخبرهم بأنه مع كونه مغفورا له فإنه أخشى الناس وأنقاهم الله وأمرهم بأن يلزموا سنته وطريقته في العبادة.

وقريب من هذا ما حصل لأحد الصحابة وهو كهمس الهلالي رضي الله عنه الذي روى قصته فقال: "أسلمت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بإسلامي فمكثت حولا وقد ضمرت ونحل جسمي ثم أتيت فحفض في البصر ثم رفعه قلت: أما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قلت: أنا كهمس الهلالي، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قلت: ما أظنرت بعدك نهارا ولا نمت ليلا، فقال: ومن أمرك أن تعدب نفسك؟! صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما، قلت زدني، قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين، قلت: زدني أجد قوة، قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام". مسند الطيالسي رواه الطبراني في الكبير 194/19 رقم 435 وهو في السلسلة الصحيحة برقم 2623

ومن الخلل في التصورات ما يكون متعلقا بموازين تقويم الأشخاص والنظرة إليهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على تصحيح ذلك وبيانه ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا فقال رجل من أشرف الناس هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الأرض مثل هذا الفتح 6447

وفي رواية ابن ماجه: مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هذا الرجل قالوا رأيك في هذا تقول هذا من أشرف الناس هذا حري إن خطب أن يخطب وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع لقوله فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ومر رجلا آخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هذا قالوا نقول والله يا رسول الله هذا من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب لم ينكح وإن شفع لا يشفع وإن قال لا يسمع لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا خير من ملء الأرض مثل هذا سنن ابن ماجه ط. عبد الباقي رقم 4120

(5) معالجة الخطأ بالموعظة وتكرار التخويف

عن جندب بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا من المسلمين إلى قوم من المشركين وإيهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله وإن رجلا من المسلمين قصد غلته قال وكذا حدث أنه أسامة بن زيد فلما رفع عليه السيوف قال لا إله إلا الله فقتله فجاء البشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فاخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع فدعاه فسأله فقال لم تقتله قال يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلانا وفلانا وسمى له نقرأ وإني حملت عليه فلما رأى السيوف قال لا إله إلا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلته قال نعم قال فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة قال يا رسول الله استغفر لي قال وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة قال فجعل لا يزيد على أن يقول كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة رواه مسلم ط. عبد الباقي رقم 97

وفي رواية أسامة بن زيد رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الخراقات من جهنمة فاندركت رجلا فقال لا إله إلا الله قطعته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقال لا إله إلا الله وقتلته قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تطم أقالها أم لا فما زال يقرؤها علي حتى تمثيت أي أسلمت يؤمئذ رواه مسلم رقم 69

ومما يدخل في مواجهة الخطأ بالموعظة: التذكير بقدره الله وهذا مثال:

روى مسلم رحمه الله تعالى عن أبي مسعود البديري قال: كنت أضرب غلاما لي بالسوط فسمعت صوتا من خلفي أعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب قال فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول أعلم أبا مسعود أعلم أبا مسعود قال فالتفت السوط من يدي وفي رواية فسقط من يدي السوط من هيئته فقال أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام قال فقلت لا أضرب مملوكا بحدّه أبداً وفي رواية فقلت يا رسول الله هو حرٌ لوجهه الله فقال أما لو لم تفعل للفتك النار أو لمستك النار وفي رواية لمسلم أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لئن أقدر عليك منك عليه فإن فاعقته صحيح مسلم رقم 1659

وعن أبي مسعود الأنصاري قال كنت أضرب مملوكاً لي فسمعتُ قابلاً من خلفي يقول أعلم أبا مسعود أعلم أبا مسعود فالتفت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لله أفدرُ عليك منك عليه قال أبو مسعود فما ضربت مملوكاً لي بعد ذلك رواه الترمذي رقم 1948 قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

(6) إظهار الرحمة بالمخطئ

وهذا يكون في حال من يستحق ممن عظم ندمه واشتد أسفه وظهرت توبته مثملاً يقع أحياناً من بعض المستفتين كما في مثل هذه القصة:

عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فدنا من امرأته فوقع عليها فقال يا رسول الله إني قد ظاهرت من زوجتي فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال وما حملك على ذلك يرحمك الله قال رأيت خلخالها في ضوء القمر قال فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به قال أبو عيسى هذا حديث حسن قريب صحيح سنن الترمذي رقم 1199

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكت قال ما لك قال وقعت على امرأتي وأنا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تجد رقية تحفظها قال لا قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا فقال فهل تجد إطعام سبعمائة مسكينة قال لا قال فمكت النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقرق فيها تمر والعرق المكثل قال أين السائل فقال أنا قال خذها فتصدق به فقال الرجل أعلى أفقر مني يا رسول الله فوالله ما بين لابتيها يزيد الحرئين أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال اطعمه أهلك رواه البخاري فتح 1936

إن هذا المستفتي المخطئ لم يكن هازلاً ولا مستخفاً بالأمر بل إن تائبه نفسه وشعوره بخطئه واضح من قوله: هلكت، ولذلك استحق الرحمة ورواية أحمد رحمه الله فيها مزيد من التوضيح لحال الرجل عند مجيئه مستفتياً: عن أبي هريرة أن أعرابياً جاء يلطم وجهه وينتف شعره ويقول ما أرابني إلا قد هلكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أهلك قال أصبت أهلي في رمضان قال أتستطيع أن تعيق رقية قال لا قال أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا قال أتستطيع أن تطعم سبعمائة مسكينة قال لا وذكر الحاجة قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برزيب وهو المكثل فيه خمسة عشر صاعاً أحسبه تمرًا قال النبي صلى الله عليه وسلم أين الرجل قال أطعم هذا قال يا رسول الله ما بين لابتيها أخذ أحوج منا أهل بيت قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه قال أطعم أهلك المسند 516/2 الفتح الرباني 89/10

(7) عدم التسرع في التخطئة

وقد حدثت لعمر رضي الله عنه قصة رواها بنفسه فقال: سمعتُ هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقرآته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يفرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أساوره في الصلاة فتصيرت حتى سمع قلبه برداه فقلت من أفرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أفوذه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني سمعتُ هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يفرئها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه رواه البخاري الفتح 4992

ومن الفوائد التربوية في هذه القصة ما يلي:

- أمر كل واحد منهما أن يقرأ أمام الآخر مع تصويبه أبلغ في تقرير صوابهما وعدم خطأ أي منهما.

- أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بإطلاق هشام بقوله: (أرسله يا عمر) كما في رواية الترمذي للقصة صحيح الترمذي 16/3 فيه تهينة الخصمين للاستماع وهما في حال الهدوء وفيه إشارة إلى استعجال عمر رضي الله عنه.

- على طالب العلم أن لا يستعجل بتخطئة من حكي قولاً يخالف ما يعرفه إلا بعد التثبت فربما يكون ذلك القول قولاً معتبراً من أقوال أهل العلم.

ومما يتعلق بهذا الموضوع أيضاً: عدم التسرع في العقوبة وفي القصة التالية شاهد:

روى النسائي رحمه الله عن عباد بن شرحبيل رضي الله عنه قال قدمت مع عومتي المدينة فدخلت حائطاً من حيطانها ففركت من سبيلها فجاء صاحب الحائط فأخذ كسائي وضربني فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعدي عليه فأرسل إلى الرجل فجاءوا به فقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله إني دخلت حائطي فأخذت من سبيلها ففركت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمته إذ كان جاهلاً ولا أظنمته إذ كان جانيماً أرؤد عليه كسائه وأمر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوسق أو نصف وسق النسائي: المجتبى: كتاب آداب القضاة باب الاستعداد وهو في صحيح سنن النسائي رقم 4999

يُستفاد من هذه القصة أن معرفة ظروف المخطئ أو المتعدي يوجه إلى الطريقة السليمة في التعامل معه.

وكذلك يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقب صاحب البستان لأنه صاحب حق وإنما خطاه في أسلوبه ونبيه بأن تصرفه مع من يجهل لم يكن بالتصرف السليم في مثل ذلك الموقف ثم أرشده إلى التصرف الصحيح وأمره برد ما أخذه من ثياب الجانح.

(8) الهدوء في التعامل مع المخطئ

وخصوصاً عندما يؤدي القيام عليه والاشتداد في نهيه إلى توسيع نطاق المفسدة ويمكن أن تتبين ذلك من خلال مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم لخطأ الأعرابي الذي بال في المسجد كما جاء عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولما القدر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قامر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشئت عليه صحيح مسلم رقم 285

لقد كانت القاعدة التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة الخطأ: التيسير وعدم التعسير، فقد جاء في رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم وأهريقوا على بؤله ذوباً من ماء أو سجلاً من ماء فإنما يُعْثَم منسرين ولم يُبْعَثوا مُعْسرين فتح 6128

لقد تحمس الصحابة رضوان الله عليهم لإتكار المنكر حرصاً على طهارة مسجدهم وروايات الحديث تدل على ذلك ومنها: -

" فصاح به الناس - " فثار إليه الناس - " فزجره الناس - " فأسرع إليه الناس " وفي رواية " فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه " جامع الأصول 87-83/7

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم نظر في عواقب الأمور وأن الأمر يدور بين احتمالين إما أن يُمنع الرجل وإما أن يترك. وأنه لو منع فإما أن ينقطع البول فعلا فيحصل على الرجل ضرر من احتباس بوله وإما أن لا ينقطع ويتحرك خوفاً منهم فيزداد انتشار النجاسة في المسجد أو على جسد الرجل وثيابه فأرى النبي صلى الله عليه وسلم بثاقب نظره أن ترك الرجل يبول هو أدنى المفستدين وأهون الشرين خصوصاً وأن الرجل قد شرع في المفسدة والنجاسة يمكن تداركها بالتطهير ولذلك قال لأصحابه: دعوه لا تزرموه أي لا تحبسوه. فأمرهم بالكف لأجل المصلحة الراجحة وهو دفع أعظم المفستدين باحتمال أيسرهما وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما

وقد جاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم سأل الرجل عن سبب فعله، فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فباعه في المسجد ثم انصرف فقام ففحج ثم بال ففهم الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقطعوا على الرجل بوله، ثم قال: أأنت بمسلم؟ قال: بلى، قال ما حملك على أن تلت في مسجدينا؟ قال: والذي بعثك بالحق ما ظننته إلا صعيديا من الصعداء فبليت فيه. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فصب على بوله. رواه الطبراني في الكبير رقم 11552 ج 11 ص 220 وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح 10/2

إن هذا الأسلوب الحكيم في المعالجة قد أحدث أثرا بالغا في نفس ذلك الأعرابي يتضح من عبارته كما جاء في رواية ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ دَخَلَ أَعْرَابِيَّ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِحَمَدِي وَلَا تَغْفِرْ لِأَخِي فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَقَدْ اخْتَضَرْتَ وَأَسْعَا ثُمَّ وَلَّى حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَضَحَ (فَرَجَ مَا بَيْنَ رَجْلَيْهِ) يَبُولُ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَفَقَا فَقَامَ إِلَى أَبِي بَابِي وَأَمَى فَلَمْ يُوْتَبْ وَلَمْ يَسْبَبْ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يُبَالُ فِيهِ وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلْكَ صَلَاةٌ ثُمَّ أَمَرَ بِسَجَلٍ مِنْ مَاءٍ فَأَقْرَعَ عَلَى بَوْلِهِ سَنَنْ مِنْ مَاجَةِ طَرِيقِ عَبْدِ الْبَاقِيِّ 529 وَهُوَ فِي صَحِيحِ بْنِ مَاجَةَ 428

وقد ذكر بن حجر رحمه الله تعالى فوائد في شرح حديث الأعرابي منها:

- * - الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا ولا سيما إن كان ممن يُحتاج إلى استتلافه.
- * - وفيه رافة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه.
- * - وفيه أن الاحتراز من النجاسة كان مقررا في نفوس الصحابة ولهذا بادروا إلى الإنكار بحضرتة صلى الله عليه وسلم قبل استئذانه ولما تقرر عندهم أيضا من طلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* - وفيه المبادرة إلى إزالة المفاسد عند زوال المانع لأمرهم عند فراغه بصب الماء. الفتحة 325-324/1

(9) بيان خطورة الخطأ

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بضع - أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قراننا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب أسنا، ولا أجبن عند اللقاء. يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء. فقال عوف بن مالك: كذبت ولكم منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب وتحدثت حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: كآني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الحجارة لتتعب رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: { قل أباالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون } التوبة/65 وما يلتفت إليه وما يزيد عليه.

ورواه ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قراننا هؤلاء، أرغب بطونا ولا أكذب أسنا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكم منافق! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيت متعلقا بحق ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب! ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: { أباالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم }. تفسير ابن جرير الطبري 333/14 طر دار الكتب العلمية. الأولى 1412، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان، وأخرجه الطبري من طريقه وله شاهد بسند حسن عند ابن حاتم من حديث كعب بن مالك. (الصحيح المسند من أسباب النزول ص 71).

(10) بيان مضرة الخطأ

عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان الناس إذا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا تفرقوا في الشُعَابِ والأودية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تفرقكم في هذه الشُعَابِ والأودية إنما ذلكم من الشيطان فلم يترن بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمهم رواه أبو داود رحمه الله تعالى في سننه 2286 وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 2288. وفي رواية: حتى إنك لتقول لو بسطت عليهم كساء لعمهم أحمد: الفتح الرباني 44/14

ويلاحظ رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وفيه حرص القائد على مصلحة جنوده.

وأن تفرق الجيش إذا نزل فيه تخويف الشيطان للمسلمين وإغراء للعدو بهم انظر عن المعبود 292/7 والتفرق يمنع بعض الجيش من معونة بعض انظر دليل الفالحين 130/6

ويلاحظ امتثال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لتوجيهه فيما استقبلوا من أمرهم.

ومن الأمثلة أيضا على بيان مضرة الخطأ وخطورته حديث الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَسُونَنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ رواه البخاري في صحيحه فتح رقم 717

وفي صحيح مسلم عن سيبك بن حرب قال سمعت الثُّعْمَانِ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ ثُمَّ حَرَجَ يَوْمًا فَمَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرَهُ مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ عِبَادَ اللَّهِ لَتَسُونَنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ صحيح مسلم رقم 436

وروى النسائي عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال رَأَصُوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وَخَادُوا بِالْأَعْتَاقِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيَاطِينَ تَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ (أي النغم السود الصغار) المجتبى 92/2 صححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم 785.

فتبين مفاسد الخطأ وما يترتب عليه من العواقب أمر مهم في الإقناع للمخطئ، وقد تكون عاقبة الخطأ على المخطئ نفسه وقد تتعدى إلى آخرين فمن الأول ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا لعن الريح وقال مسلم إن رجلا نازعته الريح رداءه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلعنتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنوها فإنها مأمورة وإنه من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه أبو داود رقم 4908 وهو في صحيح أبي داود رقم 4102

ومثال الثاني ما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه قال أتى رجل على رجل عنده النبي صلى الله عليه وسلم (وفي رواية لمسلم: فقال رجل يا رسول الله ما من رجل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه في كذا وكذا صحيح مسلم رقم 3000) فقال وتلك قطعت عنك صاحبك قطعت عنك صاحبك مرارا ثم قال من كان منكم ما دحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أركي على الله أحدا أخصبه كذا وكذا إن كان يظلم ذلك منه 2662 كتاب الشهادات وفي رواية البخاري في الأدب المفرد عن مجنون الأسلمي رضي الله عنه في قصة له قال: حتى إذا كنا في المسجد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي ويسجد ويركع فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا؟ فأخذت أطرية فقلت: يا رسول الله هذا فلان وهذا [وفي رواية في الأدب المفرد أيضا هذا فلان وهو من أحسن أهل المدينة صلاة] فقال: أمسك، لا تسمعه فتهلكه. صحيح الأدب المفرد 137 وقال الألباني: حسن

وفي رواية للبخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يئتي على رجل ويظيره في مذحه فقال أهلككم أو قطعتم ظهر الرجل فتح 2663

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هنا لهذا المبالغ في المدح المخطئ فيه عاقبة خطئه وذلك أن الزيادة في الإطراء تدخل في قلب الممدوح الغرور فيتبه بنفسه كبرا أو إعجابا وربما يفتر عن العمل متوكلا على الشهرة الآتية من المدح أو يقع في الرياء لما يحسنه من لذة المدح فيكون في ذلك هلاكة وهو ما عبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله: "أهلكتم" أو "قطعتم عنق الرجل" أو "ظهر الرجل".

ثم إن المادح قد يجازف في المدح ويقول ما لا يتحققه ويجزم بما لا يستطيع الإطلاع عليه وقد يكذب وقد يراني الممدوح بمدحه فتكون الطامة لاسيما إن كان الممدوح ظلما أو فاسقا انظر الفتح 478/10

والمدح ليس منهيا عنه بإطلاق وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم أشخاصا وهم حضور وقد جاء في عنوان الباب في صحيح مسلم إيضاح مهم: باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فئنة على الممدوح * كتاب الزهد والرفاق صحيح مسلم

والذي يعد نفسه مقصرا لا يضره المدح وإذا مدح لم يعتز لأنه يعرف حقيقة نفسه قال بعض السلف: إذا مدح الرجل في وجهه فليقل: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تواخذي بما يقولون، واجعني خيرا مما يظنون. فتح 478/10.

(11) تعليم المخطئ عمليا

في كثير من الأحيان يكون التعليم العملي أقوى وأشد أثرا من التعليم النظري وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى جبير بن نفير عن أبيه أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر له بوضوء فقال: توضع يا أبا جبير، فبدأ أبو جبير بفيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبدأ بفيك يا أبا جبير فإن الكافر يبدأ بفيه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فغسل كفيه حتى أنقاهما ثم تمضمض واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثا واليسرى ثلاثا ومسح رأسه وغسل رجله. رواه البيهقي في السنن 46/1 وهو في السلسلة الصحيحة رقم 2820

والملاحظ هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عمد إلى تغيير ذلك الصحابي من فعله المجانب للصواب عندما أخبره أن الكافر يبدأ بفيه ولعل المعنى أن الكافر لا يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء أفادنيه العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز عندما سأله عن شرح الحديث وهذا من عدم المحافظة على النظافة والله أعلم.

(12) تقديم البديل الصحيح

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود قال كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلَامَ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ (وفي رواية النسائي السلام على جبريل السلام على ميكائيل المجتبى: كتاب التطبيق: باب كيف التشهد الأول وهو في صحيح سنن النسائي رقم 1119) فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تقولوا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتِ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَخْتَارُ مِنَ الدَّعَاءِ أَحْسَنَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو الْبَخَارِي فَتَح 835

ومن هذا الباب أيضا ما روى أنس رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ثخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى ربي في وجهه فقام فحكه بيده فقال إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا يترقب أحدكم قبل قبلة ولكن عن يساره أو تحت قدميه ثم أخذ طرف رداءه فبصق فيه ثم رد بفضه على بعض فقال أو يفعل هكذا رواه البخاري فتح 405

وفي رواية: لا يُفْلَنُ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ رِجْلِهِ رواه البخاري الفتح 412

ومثال آخر: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء بلال إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يترنم برنم فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أين هذا قال بلال كان عندنا تمر ردي فبعت منه صاعين بصاع ليطعم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك أوه عین الربا عین الربا لا تفعل ولكن إذا أردت أن تتنثر في تمر ببيع آخر ثم اشتره رواه البخاري فتح 2312 وفي رواية: أن غلاما للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه ذات يوم يترنم ريان وكان تمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلا فيه ينس فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألي لك هذا التمر فقال هذا صاع اشتريته بصاعين من تمرنا فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تفعل فإن هذا لا يصلح ولكن مع تمرك واشتر من أي تمر شئت مسند أحمد 67/3.

والذي نجده في واقع بعض الدعاة الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر قصورا في دعوتهم عند إنكار بعض أخطاء الناس، وذلك بالاعتفاء بالتحطئة وإعلان الحرمة دون تقديم البديل أو بيان ما هو الواجب فعله إذا حصل الخطأ، ومعلوم من طريقة الشريعة أنها تقدم البدائل عوضا عن أي منفعة محرمة فلما حرمت الزنا شرعت النكاح ولما حرمت الربا أباحت البيع ولما حرمت الخنزير والميتة وكل ذي ناب ومخلب أباحت الذبائح من بهيمة الأتعام وغيرها وهكذا. ثم لو وقع الشخص في أمر محرّم فقد أوجدت له الشريعة المخرج بالتوبة والكفارة كما هو مبين في نصوص الكفارات. فينبغي على الدعاة أن يحدوا حذو الشريعة في تقديم البدائل وإيجاد المخرج الشرعية. إن الأمثلة لتقديم البديل ذكر الحديث الصحيح الذي يعني عن الحديث الضعيف أو الموضوع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مسألة تقديم البديل هي بحسب الإمكان والقدرة فقد يكون الأمر أحيانا خطأ يجب الامتناع عنه ولا يوجد في الواقع بديل مناسب إما لفساد الحال وبعد الناس عن شريعة الله أو أن الأمر الناهي لا يستحضر شيئا أو ليس لديه الإمكانيات الموجودة في الواقع فهو سينكر ويغير الخطأ ولو لم يوجد لديه بديل يقولوه ويوجه إليه وهذا يقع كثيرا في بعض التعاملات المالية وأنظمة الاستثمار التي نشأت في مجتمعات الكفار ونقلت بما هي عليه من المخالفات الشرعية إلى مجتمعات المسلمين، وفي المسلمين من القصور والضعف ما يحول دون إيجاد البديل الشرعي وتعميمه. ولكن يبقى الحال أن ذلك قصور ونقص وأن المنهج الإلهي فيه البدائل والمخارج التي ترفع الحرج والعتق عن المسلمين عملها من عملها وجهلها من جهلها.

(13) الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الخطأ

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حَنْظَلٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشَبْعِ الْخَزَّارِ مِنَ الْجُفَّةِ اغْتَسَلَ سَهْلٌ بِنِ حَنْظَلٍ وَكَانَ رَجُلًا أبيضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ فَظَنَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِي بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مَخْبَأَةٍ (المخباءة: هي الفتاة في خدرها وهو كناية عن شدة بياضه) فلبس سَهْلٌ (أي: صرع وسقط على الأرض) فأتى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَمَا يُفِيقُ قَالَ هَلْ تُتَّهَمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِرًا فَغَطَّ عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ إِذَا هَلَ إِذَا رَأَيْتَ مَا يُجِيبُكَ بَرَكْتَ ثُمَّ قَالَ لَهُ اغْتَسِلْ لَهُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ صَبَّهَ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهَرَهُ مِنْ حَلْفِهِ يَكْفَى الْقَدَحَ وَرَأَهُ ففعل به ذلك فراح سَهْلٌ مع الناس ليس به بأس المسند 486/3 وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، المجمع 107/5.

وفي رواية مالك رحمه الله عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار فترج جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال وكان سَهْلٌ رَجُلًا أبيضَ حَسَنَ الْجِلْدِ قَالَ فَقَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ عَذْرَاءٍ قَالَ فَوَعَكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ وَأَشَدَّتْ وَعَكَ فأتى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَ أَنَّ سَهْلًا وَعَكَ وَأَنَّ عَمْرًا رَاحَ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ سَهْلٌ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عَامِرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَامٌ يَقْتُلُ أَحَدَكُمْ إِذَا هَلَ إِذَا رَأَيْتَ مَا يُجِيبُكَ بَرَكْتَ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ تَوْضَأُ لَهُ قَوْضَأُ لَهُ عَامِرُ فَرَاخَ سَهْلٌ مع رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس به بأس الموطأ رقم الحديث 1972.

وقد تضمنت هذه القصة:

- تغيب المرابي على من تسبب في إبداء أخيه المسلم

- بيان مضرة الخطأ وأنه ربما يؤدي إلى القتل

- الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الضرر وإيذاء المسلم

(14) عدم مواجهة بعض المخطين بالخطأ والافتقار بالبيان العام

عن أنس بن مالك حدثهم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لثخظف أبصارهم رواه البخاري فتح حديث رقم 750

ولما أرادت عائشة رضي الله عنها شراء جارية اسمها بريرة رفض أهلها بيعها إلا بشرط أن يكون الولاء لهم فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق القصة رواها البخاري رحمه الله تعالى في مواضع متعددة من صحيحه انظر فتح 5636

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فتتزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصغره فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية فتح 6101

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في قبلة المسجد فاقبل على الناس فقال ما بال أحدكم يقوم مستقبلاً ربه فيتنحى إمامه أوجب أحدكم أن يستقبل فيتنحى في وجهه فإذا تنحى أحدكم فليتنحى عن يساره تحت قدمه فإن لم يجد فليقل هكذا ووصف القاسم فتقل في توبه ثم مسح بفضه على بعض صحيح مسلم رقم 550

وروى النسائي في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى صلاة الصبح فقرأ الروم فالتبس عليه فلما صلى قال ما بال أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور فإني ما يلبس علينا القرآن أولئك سنن النسائي: المجتبى 2/ 156، رجاله ثقات وعبد الملك بن عمير قال عنه الحافظ: ثقة عالم تغير حفظه وربما دلس ورواه أحمد رحمه الله تعالى عن أبي روح الكلاعي قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فقرأ فيها سورة الروم فلبس عليه بغضها قال إنما لبس علينا الشيطان القراءة من أجل أقوام يأتون الصلاة بغير وضوء فإذا أتيت الصلاة فأحسبوا الوضوء. وكذلك رواه عن شعيب عن عبد الملك بن عمير قال سمعت شبيباً أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فقرأ فيها الروم فلوهم فذكره ورواه رحمه الله أيضاً عن زائدة وسفيان عن عبد الملك المسند 473/3

والأمثلة كثيرة ويجمعها عدم فضح صاحب الخطأ. وأسلوب التعريض بالمخطئ وعدم مواجهته له فوائد منها:

1- تجنب رد الفعل السلبي للمخطئ وإبعاده عن تزيين الشيطان له بالانتقام الشخصي والانتصار للنفس

2- أنه أكثر قبولاً وتأثيراً في النفس

3- أنه أستر للمخطئ بين الناس

4- ازدياد منزلة المربي وزيادة المحبة للناس

وينبغي الانتباه إلى أن أسلوب التعريض هذا لإيصال الحكم إلى المخطئ دون فضحه وإحراجة إنما يكون إذا كان أمر المخطئ مستورا لا يعرفه أكثر الناس أما إذا كان أكثر الحاضرين يعرفونه وهو يعلم بذلك فإن الأسلوب حينئذ قد يكون أسلوب تقريع وتوبيخ وفضح بالغ السوء والمضايقة للمخطئ بل إنه ربما يتمنى لو أنه وجهه بخطئه ولم يستعمل معه ذلك الأسلوب. ومن الأمور المؤثرة فرقا: من هو الذي يوجه الكلام؟ وبحضرة من يكون الكلام؟ وهل كان بأسلوب الإثارة والاستفزاز أم بأسلوب النصح والإشفاق؟

فالأسلوب غير المباشر أسلوب تربوي نافع للمخطئ ولغيره إذا استعمل بحكمة.

(15) إثارة العامة على المخطئ

وهذا يكون في أحوال معينة وينبغي أن يوزن وزنا دقيقا حتى لا تكون له مضاعفات سلبية وفيما يلي مثال نبوي لهذه الوسيلة:

عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اذهب فاصبر فأتاه مرتين أو ثلاثا فقال اذهب فاطرح متاعك في الطريق فطرح متاعه في الطريق فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره فجعل الناس يلغونه فغل الله به وفعل وفعل فجاء إليه جاره فقال له ارجع لا ترى مني شيئا تكرهه رواه أبو داود كتاب الأدب باب: في حق الجوار رقم 5153 وهو في صحيح أبي داود 4292

ويقابل هذا الأسلوب أسلوب آخر يُستخدم في أحوال أخرى ومع أشخاص آخرين في حماية المخطئ من إيذاء العامة وبيئته الفقرة التالية:

(16) تجنب إعانة الشيطان على المخطئ

عن عمر بن الخطاب أن رجلا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب جبارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلد في الشراب فأتى به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلغوه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله رواه البخاري فتح 6780

وعن أبي هريرة قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ومنا من يضربه بقلبه ومنا من يضربه بتوبه فلما انصرف قال رجل ما له أخزاه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم رواه البخاري فتح 6781

وعنه رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب قال اضربوه قال أبو هريرة فمنا الضارب بيده والضارب بقلبه والضارب بتوبه فلما انصرف قال بعض القوم أخزأك الله قال: [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هكذا لا نعينوا عليه الشيطان البخاري فتح 6777

وفي رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يكفوه فاقبلوا عليه يقولون ما أقيمت الله ما خشيت الله وما استخيبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أرسلوه وقال في آخره ولكن قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه ويغضبه يزيد الكلمة وتحوها أبو داود كتاب الحدود باب الحد في الخمر رقم 4478 620/4، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 3759

وفي رواية: فلما انصرف قال بعض القوم أخزأك الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هكذا لا نعينوا عليه الشيطان ولكن قولوا رحمك الله رواه أحمد 300/2 قال أحمد شاكر: إسناده صحيح المسند ت. أحمد شاكر رقم 7973.

ويستفاد من مجموع هذه الروايات أن المسلم وإن وقع في معصية فإنه يبقى معه أصل الإسلام وأصل المحبة لله ورسوله فلا يجوز أن يُنفي عنه ذلك ولا أن يُدعى عليه بما يعين عليه الشيطان بل يُدعى له بالهداية والمغفرة والرحمة.

(17) طلب الكف عن الفعل الخاطئ

من الأهمية بمكان إيقاف المخطئ عن الاستمرار في الخطأ حتى لا يزداد سوءا وحتى يحصل القيام باتكار المنكر ولا يتأخر

وفي رواية ابن ماجة فقال أَمَا هَذَا فَلَا تُقُولُوهُ مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ سَنَّ ابْنَ مَاجَةَ ط. عبد الباقي رقم 1879 وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم 1539.

ولا شك أن مثل هذا التصرف يُشعر المخطئ بانصاف وعدل القائم بالإتكار والتصحيح ويجعل تنبيهه أقرب للقبول في نفس المخطئ بخلاف بعض المنكرين الذين قد يغضب أحدهم من الخطأ غضبا يجعله يتعدى في الإتكاف يصل به إلى تخطنه ورفض سائر الكلام بما اشتمل عليه من حق وباطل مما يسبب عدم قبول كلامه وعدم انقياد المخطئ للتصحيح.

وبعض المخطئين لا يكون خطوهم في ذات الكلام الذي تفوهوا به ولكن في المناسبة التي قالوا فيها ذلك الكلام كمثال قول البعض عند وفاة شخص: الفاتحة ثم يقرأها الحاضرون وقد يحتجون بأن ما قرأوه قرأنا وليس كفرا فلا بد أن يبين لهم أن الخطأ في فعلهم هو في تخصيص الفاتحة بهذه المناسبة على وجه التعبد دون دليل شرعي وهذه هي البدعة بعينها. وهذا المعنى هو الذي لفت إليه ابن عمر رضي الله عنه نظر رجل عطف على جنبيه فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ سَنَّ الترمذي رقم 2738

(20) إعادة الحق إلى صاحبه وحفظ مكانة المخطئ

روى مسلم عن عوف بن مالك قال قتل رجل من حمير رجلا من العدو فأراد سلبه فمتعه خالد بن الوليد وكان واليا عليهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عوف بن مالك فأخبره فقال لخالد ما منعك أن تعطيه سلبه قال استكثرت به رسول الله قال ادفعه إليه فمر خالد بعوف فجر برداه ثم قال هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغضب فقال لا تعطه يا خالد لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركون لي أمراني إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلا أو غنما فرعاها ثم تحين سقيها فأوردتها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم مسلم بشرح النووي 64/12

ورواه الإمام أحمد رحمه الله بسياق أتم من هذا عن عوف بن مالك الأشجعي قال غزونا غزوة إلى طرف الشام فأمر علينا خالد بن الوليد قال فأنصمنا رجلا من أمداد حمير فأوى إلى رحلتنا ليس معه شيء إلا سيف ليس معه سلاح غيره فنحر رجل من المسلمين جزورا فلم يزل يحتل حتى أخذ من جلده كهيئة المجن حتى بسطه على الأرض ثم وقد عليه حتى جف فجل له ممسكا كهيئة الثرس ففضى أن لقينا عدونا فيهم أخلاط من الروم والعرب من فضاة فقاتلونا قتالا شديدا وفي القوم رجل من الروم على فرس له أشقر وسرج مذهب ومنطقة ملطخة ذهباً وسيف مثل ذلك فجعل يحمل على القوم ويغري بهم فلم يزل ذلك المديدي يحتل لذلك الرومي حتى مر به فاستغاب فضرب عرقوب فرسه بالسيف فوقع ثم أتبعه ضرباً بالسيف حتى قتله فلما فتح الله الفتح أقبل يسأل للسلب وقد شهد له الناس بأنه قاتله فأعطاه خالد بعض سلبه وأمسك سائرته فلما رجع إلى رحل عوف ذكره فقال له عوف أرجع إليه فليعطك ما بقي فرجع إليه فأبى عليه فمضى عوف حتى أتى خالداً فقال أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل قال بلى قال فما يمنحك أن تدفع إليه سلب قتيله قال خالد استكثرت به قال عوف لن رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكرن ذلك له فلما قدم المدينة بعته عوف فاستعدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا خالداً وعوفاً قاعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنحك يا خالد أن تدفع لي هذا سلب قتيله قال استكثرت به يا رسول الله فقال ادفعه إليه قال فمر بعوف فجر برداه فقال ليجزي لك ما ذكرت لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغضب فقال لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركي أمراني إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلا أو غنما فرعاها ثم تخير سقيها فأوردتها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوة الماء وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم

ونلاحظ أن خالداً لما أخطأ في اجتهاده بمنع القاتل من السلب الكثير صلى الله عليه وسلم بوضع الأمر في نصابه بإعادة الحق إلى صاحبه ولكنه عليه الصلاة والسلام غضب لما سمع عوفاً رضي الله عنه يعرض بخالد ويهتكم عليه بقوله: هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عوف قد جر برداء خالد لما مر بجانبه فقال صلى الله عليه وسلم: لا تعطه يا خالد وهذا من باب رد الاعتبار إلى الأمير والقائد لأن في حفظ مكانته بين الناس مصلحة ظاهرة.

وقد يرد هنا الإشكال الآتي: إذا كان القاتل قد استحق السلب فكيف يمنعه إياه؟ أجاب النووي رحمه الله عن ذلك بوجهين:

أحدهما: لعله أعطاه بعد ذلك للقاتل وإنما أخره تعزيراً له ولعوف بن مالك لكونهما أطلقا السننهما في خالد رضي الله عنه وانتهاكاً حرمة الوالي ومن ولاء.

الوجه الثاني: لعله استطاب قلب صاحبه فتركه صاحبه باختياره وجعله للمسلمين، وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد رضي الله عنه للمصلحة في إكرام الأمرء. الفتح الرباني 84/14

ومن شواهد مسألة إعادة الاعتبار لمن أخطئ عليه ما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي الطفيل عامر بن وائلة أن رجلاً من علي قوم فسلم عليهم فرأوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم والله إني لأبغض هذا في الله فقال أهل المجلس بسنن والله ما قلت أما والله للنبينة قم يا فلان رجلاً منهم فأخبره قال فأذركه رسولهم فأخبره بما قال فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مررت بنجلس من المسلمين فيهم فلان فسلمت عليهم فرأوا السلام فلما جاوزتهم أذركني رجلاً منهم فأخبرني أن فلاناً قال والله إني لأبغض هذا الرجل في الله فداعه فسأله على ما يبغضني فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فسأله عما أخبره الرجل فاعترف بذلك وقال قد قلت له ذلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبغضه قال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيت بصلي صلاة قط إلا هذه الصلاة المكتوبة التي يصلها البر والفاجر قال الرجل سلته يا رسول الله هل رأيت قط أخرجت عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو أسأت الركوع والسجود فيها فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا ثم قال والله ما رأيت بصوم قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال يا رسول الله هل رأيت قط أظفرت فيه أو انتقصت من حقه شيئاً فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ثم قال والله ما رأيت بصوم قط ولا رأيت بئق من ماله شيئاً في شيء من سبيل الله بخير إلا هذه الصدقة التي يؤديها البر والفاجر قال فسأله يا رسول الله هل كتمت من الزكاة شيئاً قط أو ماكست فيها طابيتها قال فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قم إن أدري لعله خير منك ورد في المسند بعد هذا الحديث مباشرة ما يلي: حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن شهاب أنه أخبره أن رجلاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على قوم ولم يذكر أباً الطفيل قال عبد الله بلغني أن إبراهيم بن سعد حدث بهذا الحديث من حفظه وقال عن أبي الطفيل حدث به ابنه يعقوب عن أبيه فلم يذكر أباً الطفيل فأحسبه وهم والصحيح رواية يعقوب والله أعلم * المسند 455/5 وقال الهيثمي رجال أحمد ثقات أئيات المجمع 291/1

ومن الأمور المهمة حفظ مكانة المخطئ بعد توبته ورجوعه لكي يثبت على الاستقامة ويمارس حياة عادية بين الناس وقد جاء في قصة المرأة المخزومية التي قطعت يدها عن عائشة رضي الله عنها: فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم رقم 1688 وقد تقدم

(21) توجيه الكلام إلى طرفي النزاع في الخطأ المشترك

في كثير من الأحيان يكون الخطأ مشتركاً ويكون المخطئ مخطئاً عليه في الوقت نفسه ولكن نسبة الخطأ ربما تتفاوت بين الطرفين فينبغي توجيه الكلام والنصح إلى طرفي الخطأ وفيما يلي مثال:

عن عبد الله بن أبي أوفى قال: شكنا عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا خالد لا تؤذ رجلاً من أهل بدر فلو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله فقال: يقعون في فأرد عليهم فقال: لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله عز وجل صبه الله على الكفار. قال الهيثمي: رجال الطبراني ثقات المجمع 349/9 وانظر المعجم الكبير للطبراني حديث رقم: 3801

(22) مطالبة المخطئ بالتحلل ممن أخطأ عليه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضهما بعضا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيين لهما طعاما فقال أحدهما لصاحبه إن هذا نونوم (هذا في تفسير ابن كثير في ط. دار الشعب وفي اللفظ الذي ساقه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2608 إن هذا ليوانم نوم نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي رواية ليوانم نوم بيتكم) فأيقظاه فقالا انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له إن أبا بكر وعمر يقرنانك السلام وهما يستادمانك (أي يطلبان الإدام للطعام) فقال: أقرنهما السلام وأخبرهما أنهما قد انتدما !

فزعوا فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله بعثنا إليك نستأدمك فقلت قد انتدما فبأي شيء انتدما؟ قال: بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين أنيابكما. يعني لحم الذي استغاباه، قال: فاستغفر لنا، قال: هو فليستغفر لكما. السلسلة الصحيحة رقم 2608 وعزاه إلى الخرائطي في مساوي الأخلاق والضياع في المختارة وأورده ابن كثير في تفسير سورة الحجرات 363/7 ط. دار الشعب

(23) تذكير المخطئ بفضل من أخطأ عليه ليندم ويعتذر

وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما حصل بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التفسير من صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كانت بين أبي بكر وعمر محاوراة فأغضب أبو بكر عمر فاصترف عنه عمر مفضيا فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى ألقى بابه في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء وتحنن عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم هذا فقد غامر (أي: دخل في خصومة) قال وتدم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر قال أبو الدرداء وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول والله يا رسول الله لانا كنا كناظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنتم تاركون لي صاحبني هل أنتم تاركون لي صاحبني إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت فتح 4640

وروى البخاري القصة أيضا في كتاب المناقب من صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر أخذًا بطرف ثوبه حتى أدي عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمنت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فاقبلت إليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أتم أبو بكر فقالوا لا تأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمر حتى أشفق أبو بكر فجئت على ركبتيه فقال يا رسول الله والله أنا كناظلم مرتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يعتني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وأساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو (هذا لفظه في فضائل الصحابة وفي كتاب التفسير تاركون) لي صاحبني مرتين فما أودى بغدها فتح رقم 3661

(24) التدخل لتسكين الشائرة ونزع فتيل الفتنة بين المخطين

وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في عدد من المواضع ولما أوشك أن يقع بين المسلمين اقتتال تدخل عليه الصلاة والسلام كما جاء في حادثة الإفك عن عائشة رضي الله عنها قالت في تلك القصة: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستغفر من عبد الله بن أبي وهو على الميبر فقال يا معشر المسلمين من يغزني من رجل قد بلغني عنه آذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي قالت فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبيدة وهو سيد الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن أحمته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تغزله ولا تغدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبيدة كذبت لعمر الله لنقتله فإني مناقف تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على الميبر قالت فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا متفق عليه الفتح 4141

وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم وتأخر من أجل ذلك عن بداية صلاة الجماعة كما في الصحيحين وفي رواية النسائي: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: وقع بين حنين من الأنصار كلام حتى تراموا بالجماعة فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم فحضرت الصلاة فأنزل بلال وأنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبس فأقام الصلاة وتقدم أبو بكر رضي الله عنه.. الحديث المجتبى كتاب آداب القضاة 243/8 وفي رواية لأحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى فقال إن بني عمرو بن عوف قد اقتتلوا وتراموا بالجماعة فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم.. المسند 338/5

(25) إظهار الغضب من الخطأ

إذا رآه أو سمع به وخصوصا عندما يكون الخطأ متعلقا بالاعتقاد ومن ذلك الخوض في القدر والتنازع في القرآن: ففي سنن ابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكانت يفتأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم تضربون القرآن بخصه ببعض بهذا هلكت الأمم فقلتم قال فقال عبد الله بن عمرو ما عبطت نفسي بمجلس يبيض بهذا فقال عبد الله بن عمرو ما عبطت نفسي بمجلس يبيض بهذا فقال عبد الله بن عمرو ما عبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه رواه ابن ماجه رقم 85 وقال في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وقال في صحيح ابن ماجه: حسن صحيح رقم 69 وعند ابن أبي عاصم في كتاب السنة: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، هذا ينزع أية وهذا ينزع أية فكانما سفي في وجهه حب الرمان فقال لهذا خلقتم أم بهذا أمرتم لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه. السنة لابن أبي عاصم ت: الألباني رقم 406 وقال: إسناده حسن

ومما حصل من غضبه صلى الله عليه وسلم إنكارا في مسألة من الأساسات ما حصل في قصة عمر رضي الله عنه في قضية مصدر التلقي فقد روى أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن جابر ابن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم يكتب أصابه من بعض أهل الكلب فقراه (I) النبي صلى الله عليه وسلم فغضب فقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جنتكم بها بيضاء ثقية لا تسألوه عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعة إلا أن يتبعني مسند أحمد 387/3 وحسنه الألباني بشواهد في الإرواء رقم 1589 ومعنى متهوكون أي: متحيرون

وقد روى الحديث أيضا الدارمي رحمه الله تعالى عن جابر أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنخة من التوراة فقال يا رسول الله هذه نسخة من التوراة فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير فقال أبو بكر تكلمك التواكل ما ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن عمر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم رضيانا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو يذ لك موسى فأتبعتموه وتركتموني لضللت عن سواء السبيل ولو كان حيا وأذرك نبوتي لأتبعني سنن الدارمي رقم 441. المقدمة: باب ما يتقى من تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقول غيره عند قوله صلى الله عليه وسلم وقال المحقق عبدالله هاشم يماني: رواه أيضا أحمد بإسناد حسن وابن حبان بإسناد صحيح

ومن شواهد حديث أبي الدرداء: قال: جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن زيد - الذي أرى الأذان - أمسخ الله عقلك؟ ألا ترى الذي بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: رضيانا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو كان موسى

بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتوني لضلالتهم ضللا بعيدا أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي ولم أر من ترجمه وبقيّة رجاله موثقون المجمع **1741**

ونلاحظ في شواهد هذه القصة الدور المساند للمربي من قبيل الحاضرين مع ملاحظة تغيير وجه المربي واتخاذ الموقف بناء على ذلك ولا شك أنّ اجتماع هذه الأمور يحدث في نفس الموعوظ الأثر البالغ فإن العملية مرتّ بالمراحل التالية:

أولا: الاتفعال الذي حدث للنبي صلى الله عليه وسلم بتغيير وجهه غضبا قبل أن يتكلم

ثانيا: ملاحظة الصديق وعبد الله بن زيد لذلك وتنبية عمر عليه

ثالثا: تنبيه عمر لخطئه ومبادرته إلى تصحيح ذلك والاعتذار عما فعل مستعيذا بالله من غضب الله وغضب رسوله ومعلنا للأصل الأصلي من الرضى بالله ورسوله ودينه

رابعا: انفراج أسارير النبي صلى الله عليه وسلم من رجوع عمر وإدراكه لخطئه

خامسا: التعقيب النبوي الكريم في تثبيت الأصل والتأكيد عليه من وجوب اتباع شريعة النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من مصادر التلقي الأخرى.

ومما حصل من غضبه صلى الله عليه وسلم لرؤية منكر ما ورد في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةَ فِي الْقَبِيلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رَمَى فِي وَجْهِهِ فَقَامَ فَحَكَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبِيلَةِ فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدَكُمْ قَبْلَ قَبِيلَتِهِ وَلَكِنْ عَنْ سِتْرِهِ أَوْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ ثُمَّ أَخَذَ طَرْفَ رِدَائِهِ فَيَصُقُّ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ أَوْ يَقَعْلُ هَكَذَا فَفُتِحَ **405**

ومما حصل من غضبه صلى الله عليه وسلم عند سماعه خطأ أدى إلى فمسة ما ورد في البخاري أيضا عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يَطِيلُ بِنَا فِيهَا فَإِنَّمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطَّ أَثْمَدُ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُقْرِنِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فُلُوجًا فَإِنَّ فِيهِمْ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَّةِ فَفُتِحَ **7159**

ومن هذا الباب أيضا اظهار المفتي للغضب عند تكلف المستفتي وتعبته فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال جاء أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عما يلتقط فقال عرفها سنة ثم احفظ فحاصها ووجاءها فإن جاء أحد يخبرك بها وإلا فاستنقها قال يا رسول الله فضالة الغنم قال لك أو لأخيك أو للذئب قال ضالة الإبل فتمغمر وجه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما لك ولها معها جذاؤها وسقاؤها ترد الماء وتأكل الشجر رواه البخاري فتح **2436**

إن افعال المربي المتوازن مع الخطأ عند حدوثه أو رؤيته أو سماعه بحيث يرى ذلك في وجهه ويعرف في صوته وأسلوبه هو علامة حياة في القلب ضد المنكر وعدم السكوت عليه حتى يقع في قلوب الحاضرين الرهبة من ذلك الخطأ ويعمل الكلام وقت الاتفعال في النفوس عمله الموثر هذا بخلاف كتم الأمر أو تأخيره فربما يبرد أو يزول أثر التعليق.

وقد يكون من الحكمة تأخير التعليق على الحادثة المنكرة أو الكلام الخطير الخاطي إلى حين جمع الناس أو اجتماعهم لأجل أهمية الأمر أو لعدم وجود العدد الكافي الذي يتعظ وينقل ولا مانع من تعليقين خاص مباشر وعام مؤخر ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدِي لِي فَقَالَ لَهُ أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأَمَكَ فَفَنظَرْتُ أَهْدِي لَكَ أَمْ لَا ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبًا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَتَشَهَّدَ وَأَثْبَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدَ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ اسْتَعْمَلَهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أَهْدِي لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمَّهُ فَفَنظَرَ هَلْ يُهْدِي لَهُ أَمْ لَا فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْمَلُهُ عَلَى عَقْفِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رِغَاءٌ وَإِنْ كَانَتْ بَقْرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خَوَارٌ وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرٌ فَقَدْ بَلَغْتَ فَقَالَ أَبُو حَمِيدٍ ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ حَتَّى إِذَا لِنَظَرُ إِلَى غَفْرَةٍ بِنَظِيرِهِ فَفُتِحَ **6636**

(26) التولي عن المخطئ وترك جداله لعله يراجع الصواب

روى البخاري رحمه الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وقاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ألا تصلون فقال علي فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعتنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ذلك ولم يرجع إليه شيئا ثم سمعته وهو مثير يضرب فخذه وهو يقول (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) وكلام علي رضي الله عنه يحتمل أمورا ينظر الفتح **7347**

(27) عتاب المخطئ

كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع حاطب رضي الله عنه حينما علم أنه أرسل إلى كفار قريش يخبرهم بنية المسلمين في التوجه إلى مكة لفتحها فإنه قال

له:

مَا حَمَلَك يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ مَا بِي إِلَّا أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَذِّفُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي وَيَأْتِي مِنْ أَصْحَابِكَ هُنَاكَ إِلَّا وَأَنْهُ مِنْ يَذْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ قَالَ صَدَقَ فَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَذَعْنِي يَا حَاطِبُ عَقْفَهُ قَالَ فَقَالَ يَا عُمَرُ وَمَا يَذْرُؤُكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ قَالَ فَذَمَعْتُمْ عَيْنًا عُمَرَ وَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَكْبَرُ فَفُتِحَ **6259**

وفي هذه القصة عدد من الفوائد التربوية العظيمة:

- 1- معاتبته النبي صلى الله عليه وسلم للصحابي المخطئ خطأ بالغا بقوله له: ما حملك على ما صنعت.
- 2- الاستعلاء عن السبب الذي دفع بالمخطئ إلى الخطأ وهذا لاشك سيوثر في الموقف الذي سيخضع منه.
- 3- أن أصحاب الفضل والسابقة ليسوا معصومين من الذنب الكبير.
- 4- أن على المربي أن يكون واسع الصدر في تحمل أخطاء أصحابه ليدوموا معه على المنهج السوي فالعرض لإصلاحهم لا إبعادهم.
- 5- أن على المربي أن يقدر لحظة الضعف البشري التي قد تمر ببعض من معه وأن لا يؤخذ بسقطة قوية وخطأ فظيع قد يقع من بعض القدامى.
- 6- المدافعة عن من يستحق الدفاع عنه من المخطئين
- 7- أن المخطئ إذا كانت له حسنات عظيمة سابقة فلا بد أن تؤخذ بالاعتبار عند تقويم خطئه واتخاذ موقف منه.

(28) لوم المخطئ

الخطأ الواضح لا يمكن السكوت عليه ولا بد من توجيه لوم وتأنيب إلى المخطئ بائد ذي بدئ ليحس بخطئه روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: كانت لي شراف من نصيبي من المعتم يوم بذر وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شرافا من الخس فلما أردت أن أبتني بقاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعدت رجلا صواغا من بني قنقاع أن يرثل معي فنأتي بإذنه أردت أن أبيع الصواغين وأسئعن به في وليمه عرسى فبينما أنا أجمع لشارفي متاعا من الأفتاب والغرائر والحبال وشارفاني مناخاتن إلى جنب حجره رجل من الأنصار رجعت حين جمعت ما جمعت فإذا شارفاني قد اجتبى (جب أي قطع) استمنهما ويقرت (بقر أي

شوق) خواصرهما وأخذ من أقباذهما فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر مبهوماً فقلت من فعل هذا فقالوا فعل حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار فاطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي صلى الله عليه وسلم في وجهي الذي لقيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لك فقلت يا رسول الله ما رأيت كالذيوم قط عدا حمزة على ناقتي فأجبت أسئمتها وبقر خواصرهما وما هو ذا في بيت معه شرب فدعا النبي صلى الله عليه وسلم برداه فارتدى ثم انطلق يمشي وأتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذننا فإذنا لهم فإذا هم شرب فطفق (شرح ويدا) رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة قد ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صدق النظر فنظر إلى ركبته ثم صدق النظر فنظر إلى سرتيه ثم صدق النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة هل أنتم إلا عبيد لأبي عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ثمل (أي سكر ففقد رشده) فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عيني القهقري وخرجنا معه الفتح رقم 3091 وهذه القصة قبل تحريم الخمر

(29) الإعراض عن المخطئ

روى الإمام أحمد رحمه الله عن حميد قال أتاني الوليد أنا وصاحب لي قال فقال لنا هلما فإنتما أشب مني سناً وأوعى للحديث مني قال فأنطلق بنا إلى بشر بن عاصم قال فقال له أبو العافية حدثني حديثك قال حدثنا عفة بن مالك قال أبو النضر الليثي قال بهز وكان من رهبه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية قال فأغارت على قوم قال فشدت من القوم رجل قال فأتبعه رجل من السرية شاهراً سيفه قال فقال الشاذن من القوم إني مسلم قال فلم ينظر فيما قال فضرته فقتله قال فتمنى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال فيه قولاً شديداً فبلغ القاتل قال فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قال القاتل يا رسول الله والله ما قال الذي قال إلا تعوداً من القتل قال فأعرض عنه وعن قبيته من الناس وأخذ في خطبته ثم قال أيضاً يا رسول الله ما قال الذي قال إلا تعوداً من القتل فأعرض عنه وعن قبيته من الناس وأخذ في خطبته ثم لم يصبر فقال الثالثة يا رسول الله والله ما قال إلا تعوداً من القتل فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرف المساءة في وجهه قال له إن الله عز وجل أبقى على من قتل مؤمناً ثلاث مرات المسند 289/5 وانظر السلسلة الصحيحة 309/2

وروى النسائي رحمه الله عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً قدم من نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنك جنتي وفي يدك حمزة من نار الجنتي 170/8 صحيح سنن النسائي 4793 ورواه أحمد بسياق أبسط من هذا عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً قدم من نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسأله عن شيء فرجع الرجل إلى امرأته فحدثتها فقالت إن لك لساناً فارجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليه فألقى خاتمته وجية كانت عليه فلما استأذن أن له وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عليه السلام فقال يا رسول الله أعرضت عني قبل حين جنتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك جنتي وفي يدك حمزة من نار فقال يا رسول الله لقد جنت إذا جمر كثير وكان قد قدم بكلي من البحرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ما جنت به غير مغن عنا شيئاً إلا ما أخذت جبارة الحرمة ولكنه متاع الحياة الدنيا فقال الرجل فقلت يا رسول الله أعزبي في أصحابك لا يظنون أنك سخطت علي بشيء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغزته وأخبر أن الذي كان منه إنما كان لخطيئة الذهب المسند 14/3

وفي رواية لأحمد رحمه الله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على بعض أصحابه خاتماً من ذهب فأعرض عنه فإلقاه وأخذ خاتماً من حديد فقال هذا شر هذا حلية أهل النار فإلقاه فأخذ خاتماً من ورق فسكت عنه المسند 163. المسند ت. أحمد شاكر برقم 6518 وقال إسناده صحيح.

(30) هجر المخطئ

وهو من الأساليب النبوية المؤثرة خصوصاً إذا عظم الخطأ والذنب وذلك لما يحدثه الهجران والقطيعة من الأثر البالغ في نفس المخطئ ومن أمثلة ذلك ما حصل لكعب بن مالك وصاحبه الدين خلفوا في قصة غزوة تبوك: فبعد أن تأكد للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن لهم عذر واعترفوا بذلك قال كعب رضي الله عنه: وتبني رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامها أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأمأ أصحابنا فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكننت أشب القوم وأجلدهم فكننت أخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه بردة السلام علي أم لا ثم أصلى قريباً منه فاسرفه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيني وتوليت حتى تسورت الجدار. إلى أن قال رضي الله عنه في قصته:

حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبغ خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلج بأعلى صوتيه يا كعب بن مالك أبشر. فتح 4418

وفي هذه القصة من الفوائد العظيمة والعظات البالغة ما لا ينبغي تفويته بحال ويمكن الاطلاع على شيء من ذلك في شروح العلماء للقصة كزاد المعاد وفتح الباري.

ومما يدل على اعتماده صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب أيضاً ما رواه الترمذي عن عائشة قالت ما كان خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان الرجل يحدث عند النبي صلى الله عليه وسلم بالكذبة فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أخذت منها توبة قال أبو عيسى هذا حديث حسن سنن الترمذي رقم 1973

وفي رواية أحمد (.. فما يزال في نفسه عليه..) المسند 152/6

وفي رواية: وما اطلع منه على شيء عند أحد من أصحابه فيبخل له من نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة. السلسلة الصحيحة 2052

وفي رواية: " كان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يُحْدِث توبة " رواه الحاكم صحيح الجامع 4675

ويتضح من الروايات السابقة أن الإعراض عن المخطئ حتى يعود عن خطئه أسلوب تربوي مفيد ولكن لكي يكون نافعا لا بد أن يكون الهاجر والمُعْرَض له مكاتبة في نفس المهجور وإلا فلن يكون لهذا الفعل أثر إيجابي عليه بل ربما يشعر أنه قد استراح.

(31) الدعاء على المخطئ المعاند

روى مسلم رحمه الله: أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت ما متعه إلا الكبر قال فما رفعها إلى فيه رقم 2021

وفي رواية لأحمد: عن إياس بن سلمة ابن الأكوع أن أباه حدثه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل يقال له يسر بن راعي العير أبصره يأكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت قال فما وصلت يمينه إلى فمه بخذ. 45/4

قال النووي رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل. شرح صحيح مسلم 192/13

ونلاحظ هنا أن الدعاء عليه لم يكن بما يعين عليه الشيطان ولكن كان بما يشبه التعزير.

(32) الإعراض عن بعض الخطأ اكتفاء بما جرت الإشارة إليه منه تكراً مع المخطئ

وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأتني العليم الخبير التحريم/3

قال القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل:

وإذ أسر النبي أي محمد صلى الله عليه وسلم (إلى بعض أزواجه) هي حفصة (حديثاً) تحريم فتاته.. أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له

(فلما نبأت به) أي أخبرت بالسر صاحبها (عائشة)

(وأظهره الله عليه) أطلعه عن حديثها به

(عرف بعضه) أي عرفها بعض ما أفشته معاتباً

(وأعرض عن بعض) أي بعض الحديث تكراً

نتيجه في الإكليل: في الآية أنه لا بأس بإسراء بعض الحديث إلى من يركن إليه من زوج أو صديق، وأنه يلزمه كتمانها. وفيها حسن المعاشرة مع الزوجات، والتلطف في العتب، والإعراض عن استقصاء الذنب. محاسن التأويل 222/16

قال الحسن ما استقصى كريم قط، وقال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام

(33) إعانة المسلم على تصحيح خطئه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكت قال ما لك قال وقعت على امرأتي وأنا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تجد رقبة تعتقها قال لا قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا فقال فهل تجد إطعام ستين مسكيناً قال لا قال فمكث النبي صلى الله عليه وسلم فينا نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر والعرق المكتل (وهو الزنبيل الكبير) قال أين السائل فقال أنا قال خذها فتصدق به فقال الرجل أعلى أفقر مني يا رسول الله ما بين لابتيها يريد الحريتين أهل بيت أفقر من أهل بيتي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابة ثم قال أطعمه أهلك رواه البخاري فتح 1936

وفي رواية أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في ظل فارع أجم حسان جاءه رجل فقال احترقت يا رسول الله قال ما شأنك قال وقعت على امرأتي وأنا صائم فقلت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس فجلس في ناحية القوم فأتى رجل بجمار عليه غزارة فيها تمر قال هذه صدقتي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين المخترق أتفا فقال ها هو ذا أنا يا رسول الله قال خذ هذا فتصدق به قال وأين الصدقة يا رسول الله إلا عليّ وبي الذي يتك بالحق ما أجد أنا وعيالي شيئاً قال فخذها فخذها المسند 276/6.

(34) ملاقة المخطئ ومجالسته لأجل مناقشته

في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال أتكنيت أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كئنه فيسألها عن بطنها فتقول نعم الرجل من رجل لم يظأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيتاه فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال القني به فليته بعد فقال كيف تصوم قال كل يوم قال وكيف تختم قال كل ليلة قال صم في كل شهر ثلاثة وأقرأ القرآن في كل شهر قال قلت أطيق أكثر من ذلك قال صم ثلاثة أيام في الجمعة قلت أطيق أكثر من ذلك قال أفطر يوماً قال قلت أطيق أكثر من ذلك قال صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم وأقرأ في كل سبع ليال مرة فليتنى قبيلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أني كبرت وضعت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالثأر والذي يقرؤه يعرضه من الثأر ليكون أخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأخصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه قال أبو عبد الله وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع الفتح 5052

وفي رواية أحمد مزيد إيضاح وفوائد حسنة: عن عبد الله بن عمرو قال زوجني أبي امرأة من قريش فلما دخلت علي جعلت لا أحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة فجاء عمرو بن العاص إلى كئنه حتى دخل عليها فقال لها كيف وجدت بطنك قالت خير الرجال أو كخير البؤولة من رجل لم يفتش لنا كنفاً ولم يعرف لنا فراشاً فأقبل علي فقدمتي قال ابن الأثير عذموه أي أخذوه بالسنتهم، وأصل العدم العضم.. ومنه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص " فأقبل علي أبي فقدمني وعضني بلسانه " النهاية 200/3 وعضني بلسانه فقال ألكحك امرأة من قريش ذات حسب فعصلتها (أي أهملتها فلم تعاملها معاملة الزوجة) وفعلت وفعلت ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ففتكتني فإرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقال لي اتصوم النهار قلت نعم قال وتقوم الليل قلت نعم قال ليكني اصوم وأفطر وأصلي وأتم وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني قال أقرأ القرآن في كل شهر قلت إني أجدي أقوى من ذلك قال فأقرأه في كل عشرة أيام قلت إني أجدي أقوى من ذلك قال أحدهما إما حصين وإما مغيرة قال فأقرأه في كل ثلاث قال ثم قال صم في كل شهر ثلاثة أيام قلت إني أقوى من ذلك قال فلم يزال يرفعي حتى قال صم يوماً وأفطر يوماً فبئره أفضل الصيام وهو صيام أخي داود قال حصين في حديثه ثم قال صلى الله عليه وسلم فإن لكل عابد شرة ولكل شرة فترة فبأ إلى سنة وإما إلى بدعة فمن كانت فترة إلى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترة إلى غير ذلك فقد هلك قال مجاهد فكان عبد الله بن عمرو حيث ضعف وكبر يصوم الأيام كذلك يصل بطنها إلى بعض ليتقوى بذلك ثم يفتقر بعد تلك الأيام قال وكان يقرأ في كل حزيه كذلك يزيد أحياناً ويتقصن أحياناً غير أنه يوفي العذر إما في سبع وإما في ثلاث قال ثم كان يقول بعد ذلك لأن أكون قبيلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي مما عدل به أو عدل ليكني فارقته على أمر آخره أن أخالفه إلى غيره المسند 158/2 وقال أحمد شارح إسناده صحيح تحقيق المسند رقم 6477

ومن فوائد القصة:

- معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المشكلة وهو الاتهامك في العبادة بحيث لم يبق وقت لإداء حق الزوجة فوقع التقصير

- إن مبدأ أعط كل ذي حق حقه يطبق في حق كل من كان منشغلاً ومنهما ما يور من الطاعات كطالب العلم الذي يلقي دروساً كثيرة والداعية المنغرس في شئون دعوته بحيث يؤدي ذلك إلى شكاية الزوجة وتضررها وهذا ينشأ عن عدم الموازنة في القيام بالطاعات المختلفة وتوزيع الوقت على أصحاب الحقوق، فلا بأس أن يخفف هذا من دروسه شيئاً ما وهذا من اشغالاته بحيث يتوفر الوقت الكافي للاهتمام بالبيت والزوجة والأولاد وإعطائهم حقوقهم في الإصلاح والمعاشرة والترية.

(35) مصارحة المخطئ بحاله وخطئه

روى البخاري رحمه الله عن أبي ذر قال: كان بيبي وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فبليت منها فذكرتني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي أسأبت فلانا قلت نعم قال أفنت من أمه قلت نعم قال إنك امرؤ فيك جاهلية قلت على حين ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبيه فإن كلفه ما يغلبيه فليعيه عليه فتح 6050

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كان بيبي وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فبليت أمه فأفتكتني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فليقت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه قال يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فاطعموهم مما تأكلون واللبسوه مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبيهم فإن كلفتموهم فأعيوهم. صحيح مسلم رقم 1661

وهذه المصارحة والمفاتيحة من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه كانت تعلمه صلى الله عليه وسلم بقبول الصحابي لذلك، فالصراحة وسيلة مفيدة تختصر الوقت وتوفر الجهد وتبين المقصود بأيسر طريق ولكنها تكون فيما يناسب من الأحوال والأشخاص.

وقد يعدل الداعية عن مصارحة المخطئ إذا كان في ذلك حصول مفسدة أكبر أو تفويت مصلحة أعلى كان يكون المخطئ صاحب جاه أو منصب لا يتقبل ذلك أو أن يكون في المصارحة إخراج بالغ للمخطئ أو يكون ذا حساسية زائدة تجعله ذا رد فعل سلبي، ولاشك أن المصارحة مكروهة للمخطئ وتقبل على نفسه لما فيها من المواجهة والإجراح والظهور بظهور الناقص في مقابل ظهور الناقد في موضع المستعطي والأستاذ. وكذلك فإنه يجب التنبيه إلى أن أسلوب " اللف والدوران " قد يكون له سلبيات مضاعفة تفوق المصارحة وأحياناً ذلك لما قد يشعر به المخطئ من الاستغفال والتلاعب ويتضايق من الإشارات الخفية لشعوره بأنها غمز وإيذاء مبطن ثم إن التوجيه قد لا يصل أصلاً لخفض المقصود وبعده عن ذهن المخطئ فيمضي في خطئه فذمًا. وعموماً فإن الأشخاص يتفاوتون في التقبل والأسلوب الأمثل المناسب لكل منهم، ولكن يبقى أن حسن الخلق في العرض والتوجيه له الأثر الأكبر في نجاح المهمة.

(36) إقناع المخطئ

إن السعي لمناقشة المخطئ بغية إقناعه يؤدي إلى إزالة الحاجز الضبابي الذي يعترض بصيرته فيعود إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ومن أمثلة ما ورد في السنة بشأن هذا ما رواه الطبراني رحمه الله تعالى في معجمه الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه أن غلاماً شاباً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انذني لي في الزنا فصاح [به] الناس فقال [النبي صلى الله عليه وسلم]: مه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقروه، ادن، فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتحبه لأختك؟ قال: لا، قال وكذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم. أتحبه لابنتك؟ قال: لا قال وكذلك الناس لا يحبونه لابنتهم، أتحبه لأختك؟ قال: لا قال وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، أتحبه لعمتك؟ قال وكذلك الناس لا يحبونه لعماتهم أتحبه لخالتك؟ قال: لا قال وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم. فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم كفر ذنبي وطهر قلبه وحسن فرجه. المعجم الكبير للطبراني 7679 و7759 ومنه الزياتان بين الأقواس

(37) إفهام المخطئ بأنّ عذره الزائف غير مقبول

يحاول بعض المخطئين تقديم مبررات مختلفة وغير مقبولة وخصوصاً إذا انكشف أمرهم بفتنة على حين غرة منهم بل قد يبدو على بعضهم التلعثم وهم ينطقون بالعذر الزائف وخصوصاً الذين لا يحسنون الكذب لبقاء في سرائرهم. فكيف يتصرف المربي يأ ترى إذا صادف مثل هذا الموقف من أحد المخطئين؟ إن القصة التالية تبين موقفاً رائعاً وقيفاً للنبي صلى الله عليه وسلم مع أحد أصحابه ويظهر من خلال القصة المتابعة المستمرة من المربي للمخطئ إلى حين تخليه عن موقفه الخاطئ:

عن خوات بن جبير رضي الله عنه قال نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظهران (موضع بقرب مكة) قال فخرجت من خياني فإذا نسوة يتحدثن فأعجبني فرجعت فاستخرجت عيبي (وعاء توضع فيه الثياب) فاستخرجت منها حلّة فلبستها ووجنت فجلست معهن فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أبا عبد الله!! أي أنه ينكر عليه جلوسه مع هؤلاء النسوة الأجنبية فلما رأيت رسول الله هبته واختلطت تعلمت بيحت عن عذر، قلت يا رسول الله جمل لي شرد وأنا أبتغي له قيذا أتى رضي الله عنه بعذر غير صحيح ليبرر به فعله فمضى واتبعته فألقى إلي رداءه ودخل الأراك كأنني أنظر إلى بياض منته في خضرة الأراك، ففقت حاجته وتوضأ وأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره، فقال: أبا عبد الله ما فعل شرد جملك؟ ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقتني في المسير إلا قال: السلام عليك أبا عبد الله، ما فعل شرد ذلك الجمل؟ فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة واجتنبت المسجد ومجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فلما طال ذلك تحنّنت ساعة خلوة المسجد فخرجت إلى المسجد وقمت أصلي وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره فجاء فصلى ركعتين خفيفتين وطولت رجاء أن يذهب ويدعني، فقال: طول أبا عبد الله ما شنت أن تطول فليست قائما حتى تتصرف، فقلت في نفسي: والله لا اعتذرني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأبرن صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفت قال: السلام عليك أبا عبد الله، ما فعل شرد جملك؟ فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت، فقال: رحمك الله ثلاثاً، ثم لم يعد لشيء مما كان. قال الهيثمي رواه الطبراني من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة. المجمع 4019 وبالرجوع إلى المعجم الكبير للطبراني 203/4 تبين أن الرواية من طريق زيد بن أسلم يحدث أن خوات بن جبير قال نزلنا.. وفي ترجمة خوات رضي الله عنه في التهذيب: وأرسل عنه زيد بن أسلم وفي الإصابة في وفاة خوات سنة 40 أو 42 وأما زيد بن أسلم ففي السير أنه توفي سنة 136 وعلى ذلك فالسند منقطع

إنه درس رائع في التربية والخطبة الحكيمة المؤدية إلى النتيجة المطلوبة، ويمكن أن يؤخذ من القصة أيضاً الفوائد التالية:

- المربي صاحب الهيبة يستحي منه من لابس المعصية إذا مرّ به
- إن نظرات وسؤالات المربي - على وجازتها وقصرها - لها دلالاتها الكبيرة وأثرها في النفوس
- عدم مناقشة العذر الملق لحظة سماعه - مع وضوح الثغرة فيه - والإعراض عن صاحبه يكفي في إشعار المخطئ بعدم قبوله مما يدفعه للتوبة والاعتذار، وهذا يؤخذ من قوله " فمضى".
- المربي الجيد هو الذي يجعل المخطئ يشعر بالاستحياء منه الموجب للتواري عنه، والحاجة إليه الموجبة للإتيان إليه. ثم يتغلب الثاني على الأول.
- إن تغيير الموقف من المخطئ يبنى - في مثل هذه الحالة - على إظهار اعترافه ورجوعه عما حصل منه.

إن موقع المربي والقوة في نفس أصحابه كبير وعظيم ولومه ليعضهم أو تخطنته تقع بموقع وقد يلاحظ المربي مصلحة أشخاص آخرين في إنكاره على أحد أصحابه من أجل المنفعة العامة ولكن هذا لا يعني ترك الأثر السلبي الخاص باقياً بل يُمكن تداركه ومحو أثره بطرق منها المعاتبة من قبل التابع ولو بطريق واسطة كما فعل المغيرة بنوسيط عمر رضي الله عنهما وفي المقابل إيضاح الموقف والتأكيد على مكانة التابع وحسن الظن به من قبل القدوة والمربي

(38) مراعاة ما هو مركز في الطبيعة والجملة البشرية

ومن ذلك غيرة النساء وخصوصاً بين الضرران فإن بعضهن قد تخطئ خطأ لو أخطأ إنسان في الأحوال العادية لكان التعامل معه بطريقة مختلفة تماماً. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي مسألة الغيرة بين نسائه وما ينتج عنها من أخطاء مراعاة خاصة يظهر منها الصبر والحلم مع العدل والإنصاف ومن أمثلة ذلك: ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نساياه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة (إناء واسع) فيها طعام فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيئها يد الخادم فسقطت الصحفة فانقلقت فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت أمك ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند النبي هو في بيئها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فتح 5225

وفي رواية النسائي كتاب عشرة النساء عن أم سلمة أنها يعني أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجاءت عائشة مئزرة بكساء ومعها هجر (أي حجر) فقلقت به الصحفة فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين فلقتي الصحفة ويقول كلوا غارت أمك مرتين ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صحفة عائشة فبعت بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة عائشة

وفي رواية الدارمي كتاب البيوع باب من كسر شيئا فعليه مثله عن أنس قال أهدى بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إليه فصعته فيها تريد وهو في بيت بعض أزواجه فضربت القصة فالكسرت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ الثريد فيرده في الصحفة وهو يقول كلوا غارت أمك..

وغيرة المرأة أمر مركز فيها يحملها على أمور شديدة ويحول بينها وبين التبصر بعواقب الأمور

حتى قيل: إن المرأة إذا غارت لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في رياض السنّة العطرة والاطلاع على شيء من الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس يحسن قبل مغادرة الموضوع التذكير بالنقاط التالية:

- تصحيح الأخطاء واجب ومهم وهو من النصيحة في الدين ومن النهي عن المنكر ولكنه ليس كل الواجب فإن الدين ليس نهيا عن المنكر فحسب وإنما هو أمر بالمعروف أيضا.

- ليست التربية هي تصحيح الأخطاء فقط وإنما هي تلقين وتعليم وعرض لمبادئ الدين وأحكام الشريعة أيضا واستعمال الوسائل المختلفة لتأسيس التصورات وتثبيتها في النفوس من التربية بالقدوة والموعظة والقصة والحدث وغيرها، ومن هنا يتبين قصور بعض الآباء والأمهات والمدرسين والمربين بتوجيه جلّ اهتمامهم إلى معالجة الأخطاء ومتابعة الانحرافات دون ترجيح الاهتمام بتعليم المبادئ والأسس والمبادرة بالتحصين الذي يمنع وقوع الانحرافات والأخطاء ويباردها قبل حدوثها أو يقلل منها.

- يتضح مما سبق ذكره من المواقف والأحداث تنوع الأساليب النبوية في التعامل مع الأخطاء وأن ذلك قد اختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ومن كان لديه فقه وأراد الاقتداء فأس النظر على النظير والشبيه على الشبيه فيما يمرّ به من مواقف وأحداث ليتوصّل إلى الأسلوب المناسب للحالة المعيّنة.

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شرّ أنفسنا ويجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشرّ وأن يهدينا ويهدي بنا إنه سميع قريب مجيب وهو نعم المولى ونعم النصير والهادي إلى سواء السبيل

وصلّى الله على النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.